ظاهرة فك الإضافة
وآثارها فى النحو العربى

د/ مفرح السيد سعفان
كلية الآداب – جامعة المنوفية

الإنسانيات
آداب دمنهور
العدد الثامن والعشرون
أكتوبر ٢٠٠٨ م

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن موضوع هذا البحث :ظاهرة فك الإضافة وآثارها فى النحو العربى، والمقصود بفك الإضافة أن يتم تفكيك التركيب الإضافى وتحليله إلى عنصريه :المضاف والمضاف إليه، ليصير كلٌّ واحد منهما عنصرا مستقلا له موقعه من الإعراب، ويتحول التركيب الإضافى إلى شكل تركيبى آخَر، مع بقاء نوع من الترابط الدلالى و التركيبى بين العنصرين .

وهذا البحث يحاول إلقاء الضوء على هذه الظاهرة، ويرتكز منهج البحث فى هذه الدراسة على الخطوات الآتية :

١- تعريف ظاهرة فك الإضافة وتحديدها، والتفرقة بينها وبين مصطلحى قطع الإضافة وإزالة الإضافة.

٢- محاولة حصر الصور المختلفة والأشكال المتباينة لهذه الظاهرة فى اللغة العربية، ووضعها فى مستويات، وفقا للشكل التركيبى ونظام الربط الدلالى الذى يربط بين العنصرين بعد فك الإضافة .

٣- دراسة نظام الربط بين عنصرى الإضافة فى كل مستوى من هذه المستويات بعد فك الإضافة .

٤ - تحليل بعض الأمثلة والشواهد لكل مستوى من هذه المستويات .

٥- محاولة الوقوف على أهم الأبعاد الدلالية المترتبة على فك الإضافة فى كل مستوى من هذه المستويات، وذلك على أساس أن أى تحول تركيبى لابد أن يتمخض عنه تحول دلالى .

وعليه فإن الغاية من هذه الدراسة تتمثل فيما يأتى :

أولاً : محاولة تأصيل هذه الظاهرة بتعريفها وتحديد مجالها والتفرقة بينها وبين ما يتداخل معها من مصطلحات مثل : قطع الإضافة وإزالة الإضافة .

ثانياً: محاولة التوصل إلى وضع تصور عام لهذه الظاهرة على مستوى العربية بشكل عام، ووضع رؤية معينة لمنظومة العلاقة بين الإضافة وتراكيب العربية المختلفة.

ثالثاً : تأكيد تلك العلاقة التبادلية الوثيقة التى تربط بين الإضافة وأبواب النحو المختلفة، ومحاولة إعادة النظر إلى الإضافة على أساس أنها ليست مجرد باب مستقل من أبواب النحو، بل على أساس أنها صورة أخرى لتراكيب العربية، أو على أنها وجهٌ آخر للعربية .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

تمهيد (١) :

في الفرق بين مصطلحات قطع الإضافة وإزالة الإضافة وفك الإضافة :

يجدر بنا قبل أن نشرع فى دراسة ظاهرة فك الإضافة أن نفرِّق – فى البداية – بين مصطلحات ثلاثة قد يكون بينها نوع من التداخل، ألا وهى مصطلحات : قطع الإضافة، وإزالة الإضافة، و فك الإضافة .

أما قطع الإضافة فهو مصطلح معروف في تراثنا النحوي، وقد أشار إليه النحاة القدماء كثيرا، والمقصود به حذف المضاف إليه لفظا ومعنى، أو حذفه لفظا فقط دون المعنى، أو حذفه معنى فقط دون اللفظ .

وغالبا ما كان القدماء يشيرون إلى هذه الظاهرة عند حديثهم عن قضية الإعراب والبناء بالنسبة لظروف الغايات، وهى : قبل وبعد، وفوق، وتحت، وأمام، وقدام، ووراء، وخلف، وأسفل، ودون، و عل، و أول، وما يشبهها نحو : حسب، ولا غير، وليس غير.

فيقول ابن يعيش فى تعليل تسمية هذه الظروف بالغايات: "وإنما قيل لهذه الظروف غايات، لأن غاية كل شىء ما ينتهى به ذلك الشىء، وهذه الظروف إذا أُضيفت كانت غايتها آخر المضاف إليه ؛ لأن به يتم الكلام وهو نهايته، فإذا قُطِعت عن الإضافة وأُريد معنى الإضافة صارت هى غايات ذلك الكلام، فلذلك من المعنى قيل لها غايات"[١] .

ويذكر النحاة لهذه الظروف . من حيث الإعراب والبناء . أربع حالات[٢]:

الأولى : أن تكون مضافةً، فيُذكر المضاف إليه بعدها، فتكون فى هذه الحالة معربةً منصوبةً على الظرفية، ويجوز جرها بمن . فنقول مثلا : جئتُ قبلَ زيدٍ، أو مِن قبلِهِ، وجئتُ بعدَه أو من بعدِه .

والثانية : أن تُقطَع عن الإضافة لفظا ومعنى، قصدا للتنكير، فيُحذف المضاف إليه ، وتكون الظروف فى هذه الحالة أيضا معربةً منصوبةً، وتنوينها للتنكير، مثل رجل وفرس . فنقول مثلا : جئتُ قبلاً أو من قبلٍ، وجئتُ بعدًا أو من بعدٍ . وقد قُرئت الآية

الكريمة: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلِ وَمِن بَعْدِ ﴾ (الروم ٣٠ / ٤) بالجر والتنوين، على إرادة التنكير وقطع النظر عن المضاف إليه .

ومن هذا القبيل قول الشاعر :

فساغ لىَ الشرابُ وكنتُ قبلاً أكاد أُغَصُّ بالماءِ الفراتِ

والحالة الثالثة : أن يُحذف المضاف إليه معنىً، ويُنوى ثبوته فى اللفظ، وفى هذه الحالة تُعرب هذه الظروف أيضا، ولكن يمتنع تنوينها ؛ لأنك تنوى مضافا إليه محذوفا وتنتظره، وقد مثلوا لذلك بقول الشاعر :

ومن قبلِ نادى كل مولى قرابة فما عَطَفَتْ مولى عليه العواطفُ

حيث رُوِيتْ (قبلِ) بالجر من غير تنوين لنية إثبات المضاف إليه لفظا، فكأنه موجود، فجاء معربا من غير تنوين للإضافة . وكذلك قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلِ وَمِن بَعْدِ﴾ حيث قرأ الجحدرى وعون العقيلى (من قبلِ ومن بعدِ) بالجر من غير تنوين، على إرادة المضاف إليه وتقدير وجوده .

والحالة الرابعة : أن يُحذف المضاف إليه لفظا، ويُنوَى معنى، ففى هذه الحالة تُبنَى هذه الظروف على الضم، كما فى قوله سبحانه : ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾، على قراءة السبعة بالضم بدون تنوين ، فالتقدير : من قبل الغلب ومن بعده[٣]، فحذف المضاف إليه لفظا، ونوى معناه، فاستحق البناء على الضم.

وبناءً على هذا فإن مصطلح قطع الإضافة يقوم أساسًا على حذف المضاف إليه من التركيب الإضافي .

وأما إزالة الإضافة فهي . فيما أرى . عملية تحويلية يتم فيها إلغاء الإضافة من التركيب، كما يتم إلغاء جميع أوجه الترابط الدلالى والتركيبى بين عنصري الإضافة، وقد كان النحاة القدماء . في بعض الأحيان . يشيرون إلى هذا المصطلح، مثلما نلاحظ فى قول ابن هشام عن الظرف المركَّب (بينَ بينَ) فى قول الشاعر :

نحمى حقيقتنا وبعضُ القومِ يسقطُ بينَ بينا

" والأصل : بين هؤلاء وبين هؤلاء، فأُزيلت الإضافة، ورُكِّب الاسمان تركيب خمسةَ عشرَ، وهذان الظرفان اللذان صارا ظرفا واحدا فى موضع نصب على الحال، إذ المراد : وبعض القوم يسقط وسطا"(٤).

وقد تتم إزالة الإضافة بالفصل التام بين عنصريها، فيتحول التركيب الإضافى إلى عنصرين منفصلين لا رابط بينهما فى جملة واحدة أو يصير كل واحد منهما جزءا من جملة مستقلة عن الأخرى.

ونلاحظ هذه الظاهرة بصفة خاصة بين بعض القراءات القرآنية، ومن ذلك على سبيل المثال تركيب :

(كل ما سألتموه) الوارد فى قوله سبحانه : ﴿ **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ (إبراهيم ١٤ /٣٤) حيث قرأ بعضهم (من كلٌّ ما سألتموه) بتنوين (كل)(٥). وفى هذه القراءة يذكر بعض النحاة والمفسرين وجهين :

الأول : أن تكون (ما) نافية، فتكون جملة (ما سألتموه) فى محل نصب حالا، ويكون المعنى : (وآتاكم من كل شىء غيرَ سائليه) أى: وآتاكم من كل شىء من غير أن تسألوه .

فعلى هذا الوجه – وهو ما أميل إلى ترجيحه – يكون التركيب الإضافى الأصلى (كل ما سألتموه) قد تم تحليله إلى عنصرين منفصلين، ويكون كل واحد منهما قد صار عنصرا من جملة مستقلة عن الأخرى، وهما جملة (وآتاكم من كلٍّ)، وجملة (ما سألتموه) .

والثانى : أن تكون (ما) موصولة، فتكون فى محل نصب مفعولا ثانيا للفعل (آتاكم)، ويكون المعنى : (وآتاكم الذى سألتموه من كل شىء) .

حيث يقول الزمخشرى فى هذه القراءة : " وقرئ (من كلٍّ) بالتنوين، و(ما سألتموه) نفى، ومحله نصب على الحال، أى : آتاكم من جميع ذلك غير سائليه . ويجوز أن تكون (ما) موصولة ، على : وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه، ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به"(٦).

وهكذا يتحول التركيب الإضافى . على الوجه الأول . إلى عنصرين منفصلين لا رابط بينهما، ويذوب كل واحد منهما فى جملة مستقلة عن الأخرى، وذلك بفعل إزالة الإضافة .

وكذلك تركيب (شهادةَ الله) فى قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنّآ إِذاً لّمِنَ الاَثِمِينَ** ﴾ (المائدة ٥ / ١٠٦)، حيث قرئ فى الشاذ :(شهادةً آلله) و (شهادةً أللهِ) و (شهادهْ آللهِ) و (شهادهْ أللهِ) .

حيث يقول ابن يقول جنى فى ذلك : " قال أبو الفتح : أما (شهادةً) فهى أعم من قراءَة الجماعة : "شهادةَ اللهِ" بالإضافة غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف وأحرى بترك كتمانها لإضافتها إلى الله سبحانه، وأما (أللهِ) مقصورة بالجر فحكاها سيبويه : أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول : أللهِ لقد كان كذا، قال : وذلك لكثرة الاستعمال .

وأما (آللهِ) بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم، ألا تراك لا تجمع بينهما فتقول : أواللهِ لأفعلن ؟

وأما سكون هاء (شهادة) فللوقف عليها ثم استؤنف القسم، وهو وجه حسن ؛ وذلك لِيُستأْنف القسم فى أَول الكلام فيكون أَوقر له وأشدّ هيبة من أن يدرج فى عُرض القول ؛ وذلك أن القسم ضرب من الخبر يُذْكَر ليؤكّد به خبر آخر، فلما كان موضع توكيد مُكِّنَ من صدر الكلام، وأُعطى صورة الإعلاء والإعظام "[٧].

وقد تتم إزالة الإضافة بتحول التركيب الإضافى إلى عنصر واحد أو كلمة واحدة. ففى قوله تعالى: ﴿**كُلّ ذَلِكَ كَانَ سَيّئُهُ عِنْدَ رَبّكَ مَكْرُوهاً**﴾ (الإسراء ١٧ /٣٨) . قرأ بعضهم (سيئةً) بالنصب والتأنيث . على أنها خبر كان . بدلا من التركيب الإضافي (سيئهُ)، فيقول أبو حيان : " وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر والأعرج (سيئةً) بالنصب والتأنيث، وقرأ باقى السبعة والحسن ومسروق (سيئُهُ) بضم الهمزة مضافا لهاء المذكر الغائب، وقرأ عبد الله (سيئاته) بالجمع مضافا للهاء"[٨] .

ومن ثم فإن تحول التركيب الإضافى (سيئهُ) إلى كلمة واحدة (سيئةً) فى القراءة الثانية – بقلب هاء الضمير تاء تأنيث متحركة – يُعدُّ شكلا من أشكال إزالة الإضافة .

وأما فك الإضافة . موضوع هذا البحث . فهي فيما أرى عملية تحويلية أخرى يتم فيها تفكيك التركيب الإضافي، وتحليله إلى عنصرين مستقلين، لكل واحد منهما موقعه من الإعراب، مع بقاء وجود نظام للربط الدلالي بينهما، فيتحول التركيب الإضافي بذلك إلى شكل تركيبي آخر إضافي أو غير إضافي.

ومن ثم فإن كلا من إزالة الإضافة وفك الإضافة يُعدُّ عملية تحويلية تعتري التركيب الإضافي لتخلق منه شكلاً آخر، ولكن في حالة الإزالة يتم إلغاء الإضافة تماما، كما يتم إلغاء الترابط بين العنصرين . وفي حالة فك الإضافة يتحول التركيب الإضافي إلى شكل تركيبي آخر إضافي أو غير إضافي، ولايحدث أى حذف لأي عنصر من عنصري الإضافة ، مع بقاء وجود نظام للربط الدلالي بينهما بعد التحويل .

وعلى سبيل المثال فقولنا : "هذا كتابُ زيدٍ " يمكن أن نقول فيه : " هذا كتابٌ لزيدٍ "، فيتم هنا فك الإضافة باستعمال حرف الجر (اللام)، ليكون هذا الحرف هو الرابط بين العنصرين . وهكذا سائر أشكال فك الإضافة .

ويمكن القول بأن ظاهرة فك الإضافة على مستوى التراكيب فى علم النحو هى . من حيث الشكل . نظير لظاهرة فك الإدغام على مستوى الأبنية فى علم الصرف. فكما أن الإدغام يربط بين حرفين لدرجة التلاحم، ويجعل منهما حرفا واحدا مشددا،وفك الإدغام يؤدى إلى فك هذا التلاحم بتحليل الحرف المشدد إلى عنصريه، كذلك الإضافة – على مستوى التراكيب– فهى تربط بين عنصرين لدرجة التلاحم، وتجعل منهما وحدة واحدة تقوم مقام العنصر الواحد فى التركيب ، وفك الإضافة يؤدى إلى فك هذا التلاحم بتحليل هذا التركيب إلى عنصريه، ليكون لكل واحد منهما موقع مستقل فى الجملة، ويأخذ التركيبُ شكلا تركيبيا آخر إضافياً أو غير إضافى .

تمهيد (٢)

مستويات فك الإضافة فى العربية :

سبق أن أشرنا إلى أن الإضافة تؤدى إلى خلق نوع من التلاحم بين المضاف والمضاف إليه، حيث تجعل منهما وحدة واحدة تقوم مقام العنصر الواحد داخل الجملة، وعليه فإن فك الإضافة يترتب عليه فك أواصر هذا التلاحم بين عنصريها، ليصير لكل عنصر منهما موقعه المستقل من الإعراب داخل الجملة مع بقاء الترابط الدلالى بينهما، ويتحول التركيب الإضافى إلى شكل تركيبى آخر، ومن ثم فإن فك الإضافة يترتب عليه خلق علاقة تركيبية جديدة تربط بين العنصرين، ولكن الترابط بين العنصرين فى هذه العلاقة الجديدة لا يكون على درجة واحدة فى جميع أشكال فك الإضافة ،بل يمكن القول بأن هذا الترابط تتفاوت درجاته وتتباين مستوياته على حسب نوع تلك العلاقة التركيبية الجديدة التى تمخضت عن فك الإضافة .

ويمكننا . على وجه العموم . ترتيب تلك المستويات الناتجة عن فك الإضافة – من حيث بقاء قوة الترابط الدلالي بين العنصرين بعد التحويل – على النحو الآتى:

المستوى الأول : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملة مستقلة واحدة، فعلية أو اسمية فتكون علاقة الإسناد هى الرابط بين عنصريها .

المستوى الثانى: فك الإضافة بإمكان تحويل التركيب الإضافي إلى جملتين إحداهما اسمية والأخرى فعلية، فتكون علاقة الإسناد هى الرابط بين العنصرين في كل جملة .

المستوى الثالث : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافي إلى مبتدأين مترابطين بالضمير في جملة كبرى.

المستوىالرابع : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى ما يشبه الجملة ، وذلك بتحويل المضاف إلى عنصر عامل وتحويل المضاف إليه إلى عنصر معمول له، فتكون علاقة الإعمال النحوى بمثابة الرابط بينهما .

المستوى الخامس : فك الإضافة بالتبادل الموقعي، وذلك بإحلال المضاف في موقع المضاف إليه، وإحلال المضاف إليه في موقع المضاف، فيتحول التركيب الإضافي إلى تركيب إضافي آخر، وتبقى علاقة الإضافة هي الرابط بين عنصريها .

المستوى السادس : فك الإضافة باستعمال حرف الجر بين عنصريها، فيكون هو الرابط بينهما .

المستوى السابع : فك الإضافة على سبيل التبعية، وذلك بأن يتحول أحد عنصريها إلى عنصر متبوع ، ويتحول الآخر إلى عنصر تابع له، فتكون علاقة التبعية هى الرابط بينهما .

المستوى الثامن : فك الإضافة على سبيل التفسير بالتمييز، وذلك بأن يتحول أحد عنصريها إلى اسم مميّز ويتحول الآخر إلى تمييز له، فيكون الرابط هنا متمثلا فى علاقة التفسير .

المستوى التاسع : فك الإضافة على سبيل الحالية، وذلك بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب الحال، فيتحول المضاف إليه إلى صاحب حال واقعا موقع المضاف، ويتحول المضاف إلى موقع الحال . فتكون علاقة الحالية هى الرابط بين عنصريها .

المستوى العاشر : فك الإضافة على سبيل تحويل الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه بدلا من المضاف، بإحلال المضاف إليه محل المضاف مع بقاء الترابط الدلالى بينهما .

المستوى الحادى عشر : فك الإضافة على سبيل التأكيد بتقديم المضاف إليه على المضاف دون أن يحل محله، مع بقاء الترابط الدلالى بينهما .

المستوى الثانى عشر : فك الإضافة على سبيل التعجب .

وقبل أن نبدأ فى تفصيل الحديث عن هذه المستويات تجدر الإشارة إلى أنه ليس معنى فك الإضافة بتحولها إلى صور تركيبية مختلفة أن نعتقد بالضرورة بوجوب كون الإضافة هى الأصل لكل التراكيب النحوية فى اللغة العربية، بل إننى أرى أنه قد يكون للتركيب صورتان: صورة إضافية وأخرى غير إضافية، وهاتان الصورتان يمكن التبادل بينهما وفقا لمقتضيات السياق ،فيمكن أن تتحول الصورة الإضافية إلى غير الإضافية، كما يمكن أن تتحول غير الإضافية إلى الصورة الإضافية، والذى يفرض استعمال هذه الصورة أو تلك هو السياق ومقتضياته .

وهذا البحث يختص بدراسة الصور التركيبية المختلفة الناتجة عن فك الإضافة، وتحويل التركيب الإضافى إلى صور تركيبية أخرى، وفقا لما ورد فى السياقات المختلفة لتراكيب العربية .

المستوى الأول :

فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملة مستقلة واحدة فعلية أو اسمية .

وهنا تتحول علاقة الإسناد التى تربط بين المضاف والمضاف إليه من نسبة جزئية إلى نسبة كلية(٩).

بمعنى أن يتحول التركيب الإضافى من وحدة واحدة تقوم مقام العنصر الواحد داخل الجملة إلى جملة مستقلة بذاتها، سواء أكانت جملة فعلية أم اسمية، وعليه يصير الرابط بين العنصرين هنا متمثلا فى علاقة الإسناد ، وذلك بإسناد الفعل إلى الفاعل فى حالة الجملة الفعلية، أو بإسناد الخبر إلى المبتدأ فى حالة الجملة الاسمية . ومن ثم يمكن القول بأن هذا المستوى من مستويات فك الإضافة يشتمل على نمطين اثنين :

الأول : أن يتحول التركيب الإضافى إلى جملة فعلية .

والثانى : أن يتحول التركيب الإضافى إلى جملة اسمية .

أما النمط الأول . الذى يتمثل فى فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملة فعلية . فإنه يكثر فى حالة التعبير عن المصدر الصريح بالمصدر المؤوّل، وعلى سبيل

المثال فقولنا : "يعجبنى احترامُ الطالبِ معلمَه " يمكننا فك إضافة المصدر المضاف إلى فاعله، فنقول فيه : "يعجبنى أن يحترمَ الطالبُ معلمَه " . ومن ثم فإننى أرى أن التعبير بالمصدر المؤول يمثل مرحلة انتقالية وسطى بين التعبير بالفعل الصريح والتعبير بالمصدر الصريح ،وذلك لتحقيق غرضين مهمين :

الأول : تحويل معنى الفعل من عنصر مسند فى جملة صغرى إلى عنصر مسند إليه فى جملة كبرى. فالمصدر المؤول (أن يحترمَ) . فى الجملة السابقة . قد صار عنصراً مسندا إليه فى تأويل مصدر مرفوع فاعل للفعل (يعجبنى)، بعد أن كان مجرد عنصر مسند إلى الفاعل فى جملة صغرى، هى : (يحترمُ الطالبُ معلمَه) .

والثانى :تحديد الدلالة الزمنية للحدث ،لأن الفعل يدل بصيغته على الزمن، ولكن المصدر لا يدل على الزمن بصيغته بل بمعناه من خلال السياق .

وفى بعض الأحيان نجد السياق القرآنى يلجأ إلى فك إضافة المصدر المضاف إلى فاعله أو إلى مفعوله، بجملة فعلية تكون صلةً بعده، وذلك لتأكيد معنى الفاعلية أو المفعولية التى تتضمنها الإضافة ؛ وذلك لأن إضافة المصدر من الممكن أن تحتمل أوجها متعددة، فيكون فك الإضافة بجملة فعلية بعدها بمثابة تأكيد للمعنى الذى تتضمنه الإضافة . مثلما نلاحظ فى الآيات الكريمة الآتية:

– قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنّكُمُ الّذِي ظَنَنتُم بِرَبّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت ٢٣/٤١) فجملة الصلة (ظننتم) تم فيها فك إضافة المصدر فى (ظنكم) لتأكيد معنى الفاعلية فيه .

– و قوله سبحانه : ﴿فِطْرَةَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم ٣٠ / ٣٠) فجملة الصلة(فطر الناسَ) تم فيها فك إضافة المصدر فى تركيب(فطرة الله) لتأكيد معنى الفاعلية فيه.

– وقوله سبحانه:﴿ رَبّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِيَ أَنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَىَ وَالِدَيّ﴾ (الأحقاف ٤٦ / ١٥) فجملة الصلة (أنعمتَ) تم فيها فك إضافة المصدر فى تركيب (نعمتك) لتأكيد معنى الفاعلية فيه .

وكذلك قوله: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الّتِيَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ٢ / ٤٧) .

– وقوله :﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦ / ١٩) .

– وقوله : ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة ٩ / ١١٠) .

– وقوله :﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ (الأنعام ٦ / ١٢٨) فجملة الصلة (أَجَّلْتَ لنا) تم فيها فك الإضافة فى تركيب (أجلنا) لتأكيد معنى المفعولية فيه .

وقد يتم فك هذه الإضافة بجملة فعلية مباشرة دون أن تكون جملة صلة، كما نلاحظ فى الآيات الكريمة الآتية :

– قوله تعالى:﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الممتحنة ٦٠ / ١٠) .

– وقوله:﴿ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام٦ / ٨٨) و(الزمر ٣٩/ ٢٣).

– وقوله :﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم ٣٠ / ٤. ٥).

كذلك يحدث هذا النمط فى حالة التعبير عن الوصف المضاف . من اسم فاعل أو غيره . بالفعل، فقولنا : " زيد ضاربُ عمرٍ " يمكن أن نقول فيه : "زيد يضربُ عمرا"، وقولنا : " الله سميعُ الدعاءِ " يمكن أن نقول فيه : " الله يسمعُ الدعاءَ " وهكذا .

وفى مجال القراءات القرآنية نجد أمثلة متعددة لظاهرة فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملة فعلية ،منها . على سبيل المثال . ما يأتى :

– قوله تعالى:﴿وَالْخَامِسَةَ أَنّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْهَآ﴾ (النور ٩/٢٤) حيث قرأه بعضهم: " أَنْ غضِب اللهُ عليها " على أن (غضب) فعل ماضٍ، ولفظ الجلالة فاعل مرفوع(١٠) .

– قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكّ رَقَبَةٍ ﴾ (البلد ٩٠ /١٣ـ ١٤) حيث قرأه بعضهم : "فكَّ رقبةً " على أن(فكَّ) فعل ماضٍ، و (رقبةً) مفعول به منصوب(١١).

– قوله تعالى :﴿الَّذِيَ أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة ٣٢ / ٧) حيث قرأه بعضهم (خَلْقَه) . بسكون اللام . على أنه بدل اشتمال منصوب من (كل) (١٢).

– قوله تعالى :﴿وَمَآ أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ﴾ (النمل ٢٧ / ٨١) حيث قرأه بعضهم:" تهدى العمىَ "[١٣]. على أن (تهدى) فعل مضارع، و(العمىَ) مفعول به منصوب لهذا الفعل .

– قوله تعالى :﴿ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٤ / ٢٤) حيث قرئ فى الشاذ " كَتَبَ اللهُ عليكم"[١٤] على أن (كَتبَ) فعل ماض، ولفظ الجلالة فاعل مرفوع .

وأما النمط الثانى .والمتمثل فى فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملة اسمية . فإنه يكثر فى حالة فك الإضافة الخبرية، التى تكون بإضافة ما كان خبرا فى الأصل إلى المبتدأ[١٥]، وذلك مثلما نلاحظ فى قولنا : "ما أجمل فضيلةَ الصدقِ،فالصدقُ فضيلةٌ جميلة، وما أقبح رذيلةَ الكذبِ، فالكذبُ رذيلةٌ قبيحةٌ". وقولنا : " ما أعظم نعمةَ العقلِ، فالعقلُ نعمةٌ عظيمةٌ "وقولنا : " تعجبنى مهنةُ التدريسِ، فالتدريسُ مهنةٌ سامية ". حيث تم فك الإضافة فى التراكيب الإضافية : فضيلة الصدق، و رذيلة الكذب، ونعمة العقل، ومهنة التدريسِ، بتحويلها إلى جمل اسمية هى – على الترتيب –: الصدق فضيلة، والكذب رذيلة، والعقل نعمة، والتدريس مهنة .

وقد فطن بعض النحاة القدماء إلى أن الجملة الاسمية تُعبِّر فى مضمونها عن تركيب إضافى ، بإضافة مصدر الخبر إلى المبتدأ، فيقول الرضى .فى سياق حديثه عن مفعولى علم والفرق بينهما وبين مفعولى أعطى . : " إن مضمون المفعولين هو المفعول الحقيقى ؛ لأن المعلوم فى قولك : "علمت زيدا قائما" مصدر المفعول الثانى مضافا إلى الأول، أى : علمت قيامَ زيدٍ، بخلاف مفعولى أعطيت، فإن كل واحد منهما مفعول به، إذ زيد فى قولك : "أعطيت زيدا درهما " مُعطَى، وكذلك الدرهم"[١٦].

المستوى الثانى :

فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى جملتين إحداهما فعلية والأخرى اسمية:

ويحدث هذا في حالة خاصة، وهى عند فك إضافة الصفة المشبهة المضافة إلى فاعلها . وعلى سبيل المثال فتركيب (كريم الخلق) في قولنا : " زيدٌ كريمُ الخلقِ " يمكن أن يتحول إلى جملة فعلية فنقول : ''زيدٌ كريمٌ خلقُه ''، فيكون الخلق فاعلا للصفة المشبهة

(كريم)، كما يمكن أن يتحول إلى جملة اسمية فنقول : " زيدٌ خلقُهُ كريمٌ "، فيكون الخلقُ مبتدأ، والصفة المشبهة (كريم) خبرا له .

وما ذكرناه فى هذا المثال يمكن أن ينطبق على جميع أمثلة الصفة المشبهة المضافة إلى فاعلها، مثل: (حسن الخلق) و (رفيع النسب) و(شديد العقاب) و(شديد العذاب) و (سريع الحساب) و (طاهر القلب) وغيرها .

أما الصفة المشبهة المضافة إلى مفعولها فلا ينطبق عليها هذا التحوُّل ؛ لأنها في معنى الجملة الفعلية، ولا تتحول إلا إلى جملة فعلية، وذلك مثلما نلاحظ فى تركيب (سميع الدعاء) فى مثل قوله سبحانه :﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيّا رَبّهُ قَالَ رَبّ هَبْ لِي مِن لّدُنْكَ ذُرّيّةً طَيّبَةً إِنّكَ سَمِيعُ الدّعَآءِ﴾ (آل عمران ٣ / ٣٨)، فالمعنى : إنك تسمع الدعاء .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن النحاة العرب القدماء كانوا يرون أن إضافة الصفة المشبهة هى إضافة لفظية، ولا معنى للإضافة فيها ؛ لأنها لا تتضمن معنى حرف الإضافة . عندهم . وهو اللام ، فيقول عبد القاهر الجرجاني : " اعلم أن الإضافة في قولك : " حَسَنُ الوجهِ " إذ[١٧] كانت لفظية، من حيث إن المعنى : حسنٌ وجهُه ، كان وجودها كلا وجود، فكما تقول : " مررت برجلٍ حسنٍ وجهُه " فتصف به النكرة، لأنه عارٍ من أسباب التعريف، كذلك تقول : " مررت بالرجلِ حسنِ الوجهِ " فتصفه به ؛ لأن هذا السبب الذى هو الإضافة لا تأثير له في المعنى، والتعريف يتعلق بالسبب المعنوي لا اللفظي.ولو كان للإضافة هنا معنى لوجب أن يتصور معنى حرفها وهو اللام، نحو أن تقول : "مررت برجلٍ حسنٍ للوجه"[١٨] كما تقول فى غلام الرجل: "غلام للرجل"[١٩].

والذي أراه أن الإضافة التي بمعنى اللام ليست إلا صورة واحدة من صور مستوى واحد من مستويات فك الإضافة في اللغة العربية وهو مستوى فك الإضافة بحرف الجر. ولا يجوز أن نفرض هذا المعنى على جميع صور مستويات فك الإضافة في العربية لكي نحكم على الإضافة بأنها إضافة حقيقية .

فلكل مستوى من هذه المستويات دلالته الخاصة به .

المستوىالثالث :

فك الإضافة بتحويل عنصري الإضافة إلى مبتدأين مترابطين فى جملة كبرى :

وذلك بأن يتحول المضاف إليه إلى مبتدأ أول، ويتحول المضاف إلى مبتدأ ثانٍ،متصل بضمير رابط يعود على المبتدأ الأول . فيكون هذا الضمير هو الرابط بين العنصرين . وغالبا ما يحدث هذا في حالة ما إذا كان الاسم المضاف مبتدأ .

وذلك مثلما نلاحظ في الأمثلة الآتية :

- قولنا : " كتابُ زيدٍ جديدٌ " يمكن أن نقول فيه: " زيدٌ كتابُه جديدٌ " .
- قولنا : "أسلوبُ الكاتبِ رائعٌ " يمكن أن نقول فيه : " الكاتبُ أسلوبه رائعٌ " .
- قولنا: أشجارُ الحديقةِ مثمرةٌ " يمكن أن نقول فيه: "الحديقةُ أشجارها مثمرة " .

ففي الجمل السابقة تحول المضاف إليه إلى مبتدأ أول، كما تحول المضاف إلى مبتدأ ثانٍ وقد اتصل بضمير رابط يعود على المبتدأ الأول .

ويمكننا توضيح ذلك فى هذا الشكل التوضيحى :

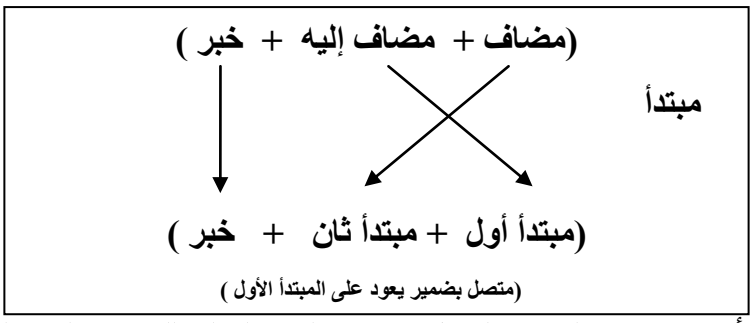

وأهم ما يترتب على هذا التحول هو إبراز القيمة الدلالية للمضاف إليه، والتنبيه على أهميته وخطورته، وليس هذا ناتجا فقط عن تكرار المضاف إليه، بتحويله إلى مبتدأ أول وعود الضمير الرابط إليه، ولكنه ناتج .فى الحقيقة . عن تعدد الإسناد إليه . ذلك أن التركيب الإضافى هنا يتحول إلى عنصرين، كل واحد منهما مبتدأ (مسند إليه)، ويصير لكل واحد منهما خبر (مسند)، أى أن هذا التحويل يؤدي إلى خلق شكلين من الإسناد بعد أن كان لدينا إسناد واحد .

ففي الجملة الأولى مثلا : (كتابُ زيدٍ جديدُ) يتم فقط إسناد الخبر (جديد) إلى المبتدأ المضاف (كتاب)، دون تنبيه إلى أهمية المضاف إليه (زيد) .

ولكن الجملة الثانية (زيدٌ كتابُه جديدٌ) قد خلقت . بالإضافة إلى هذا الإسناد . إسنادا آخر، وهو إسناد (الكتاب الجديد) إلى (زيد) . ومن ثم كانت الجملة الثانية أقوى تأثيرا وأظهر تنبيها على أهمية المضاف إليه (زيد) من الجملة الأولى .

ومن هذا القبيل في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ (النور ٢٤/ ٣٩)، فالأصل : (أعمال الذين كفروا كسراب) .

وقوله سبحانه : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ٩ / ٧١) فالأصل : (بعض المؤمنين والمؤمنات أولياء بعض) .

المستوى الرابع :

فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى ما يشبه الجملة :

وذلك بتحويل المضاف إلى عنصر عامل، وتحويل المضاف إليه إلى عنصر معمول له، فتكون علاقة الإعمال النحوى بمثابة الرابط بينهما، وتحدث هذه الظاهرة بصفة خاصة فى حالة فك الإضافة المفعولية الناتجة عن إضافة الوصف إلى مفعوله، ويتم ذلك بتنوين الوصف المضاف، ونصب المضاف إليه على أنه مفعول به للوصف، فقولنا مثلا : " زيدٌ ضاربُ عمرٍو" يمكن أن نقول فيه:" زيدٌ ضاربٌ عمرًا "، أى أن التركيب الإضافى (ضاربُ عمرٍو) قد تحول . بتنوين اسم الفاعل المضاف . إلى تركيب يشبه الجملة الفعلية وهو (ضاربٌ عمرًا)، حيث يصير (عمرو) مفعولا به لاسم الفاعل (ضارب)، وتشيع هذه الظاهرة بين القراءات القرآنية، ومن ذلك . على سبيل المثال لا الحصر. ما يأتى :

ـ قوله تعالى :﴿ وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ ﴾ (الصف٦١/ ٨) حيث قرأه بعضهم بتنوين اسم الفاعل (متم)، ونصب (نورَه) على أنه مفعول به لاسم الفاعل[٢٠].

ـ قوله تعالى:﴿ ذَلِكُمْ وَأَنّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال ٨ /١٨)، حيث قرأه بعضهم بتنوين اسم الفاعل (موهِنٌ)، ونصب (كيدَ) [٢١].

ـ قوله تعالى : ﴿ إِنّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ (الطلاق ٦٥ /٣)، حيث قرأه بعضهم بتنوين اسم الفاعل (بالغٌ) ونصب (أمرَه)[٢٢].

ـ قوله تعالى :﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللّهُ بِضُرّ هَلْ هُنّ كَاشِفَاتُ ضُرّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ (الزمر ٣٩ / ٣٨) حيث قرأه بعضهم بتنوين اسم الفاعل(كاشفاتٌ) و(وممسكاتٌ) ونصب (ضرَّه) و(رحمتَه)[٢٣] .

ـ قوله تعالى : ﴿ إِنّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾(النازعات ٧٩ / ٤٥)، حيث قرأ الجمهور بإضافة (منذر) إلى ما بعده، وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطلحة وابن محيصن وشيبة والأعرج وحميد بالتنوين "[٢٤].

وتجدر الإشارة إلى أن النحاة القدماء كانوا يعدون التنوين فى التراكيب السابقة هو الأصل، وأن الإضافة فيها مجرد تخفيف لها . حيث يقول الزمخشرى فى قراءة التنوين هذه : " وقرئ (منذرٌ) بالتنوين، وهو الأصل، والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا أريد الماضى فليس إلا الإضافة، كقولك : هو منذرُ زيدٍ أمس ". (تفسير الكشاف ٤ / ٦٨٥).

. قوله تعالى :﴿ وَالْمُقِيمِي الصّلاَةِ ﴾ (الحج ٢٢ / ٣٥) حيث تم فك الإضافة فيه فى موضع آخر، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصّلاَةَ ﴾ (النساء ٤ / ١٦٢) .

المستوى الخامس :

فك الإضافة بالتبادل الموقعي وتحويل التركيب الإضافي إلى تركيب إضافي آخر .

وذلك بإحلال المضاف إليه في موقع المضاف، وإحلال المضاف في موقع المضاف إليه، فيتحول التركيب الإضافي بذلك إلى تركيب إضافي آخر، وتبقى علاقة الإضافة هي الرابط بين العنصرين، ذلك فيما يمكن أن نطلق عليه (الإضافة التبادلية)، وذلك على النحو الموضح في هذا الشكل التوضيحي :

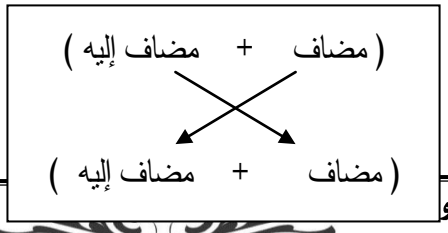

ومن أمثلة هذه الإضافة التبادلية ما حدث فى تركيب (كل قلب متكبر) فى قوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ كُلّ قَلْبِ مُتَكَبّرٍ جَبّارٍ ﴾ (غافر ٤٠ / ٣٥) . حيث قرأ عبد الله بن مسعود : " على قلبِ كلِّ متكبرٍ جبارٍ "، وفى ذلك يقول الفراء :

'' وقوله : " على كل قلب متكبر جبار " يضيف القلب إلى المتكبر، ومن نوَّن[٢٥]. أى القلب . جعل القلب هو المتكبر الجبار، وهى فى قراءة عبد الله : " كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار " فهذا شاهد لمن أضاف، والمعنى فى تقدم القلب وتأخره واحد، والله أعلم .

قال : سمعت بعض العرب يرجِّل بشعره يومَ كلِّ جمعة ،يريد : كلَّ يوم جمعة، والمعنى واحد[٢٦] ''.

وكذلك تركيب (يوم الوقت المعلوم) الوارد فى قوله سبحانه : ﴿ قَالَ فَإِنّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىَ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (الحجر ١٥ / ٣٧ . ٣٨) و(ص ٣٨ / ٨٠ . ٨١)، حيث استعمل السياق القرآنى . فى موضع آخر . تركيبا إضافيا آخر يعبر عن نفس المعنى . وهو يوم القيامة[٢٧] . باستخدام التبادل الموقعى بين عنصرى الإضافة، وهو تركيب (ميقات يوم معلوم) الوارد فى قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنّ الأوّلِينَ وَالآخِرِينَ *لَمَجْمُوعُونَ إِلَىَ مِيقَاتِ يَوْمٍ مّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة ٥٦ / ٤٩ . ٥٠) .

وتركيب (جزاء الضعف) في قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سبأ ٣٤ /٣٧) حيث يمكن أن نقول في معناه : " ضعفُ الجزاءِ " .

وتركيب (جنات النعيم) في مثل قوله سبحانه ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرّبُونَ * فِي جَنّاتِ النّعِيمِ﴾ (الواقعة ٥٦ / ١١ – ١٢) حيث يمكن أن نقول فيه : " نعيم الجنات " .

وقد يتم هذا التبادل الموقعى بين المضاف إليه وعنصرٍ متعلق دلاليا بالجملة، وذلك مثلما حدث فى قوله سبحانه : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ ﴾ (ق ٥٠ / ١٩) . حيث قرأ أبو بكر الصديق وعبد الله بن مسعود : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقّ بالْمَوْتِ ﴾[٢٨].

ولعل أهم ما يترتب على هذا التبادل الموقعى هو إحداث تبادل للدور الوظيفى لكل من المضاف والمضاف إليه داخل الجملة، وكذلك تبادل القيم الدلالية لكل منهما بالنسبة لمضمون السياق .

المستوى السادس :

فك الإضافة باستعمال حرف الجر بين عنصريها:

ففى كثير من الأحيان يتم فك الإضافة باستعمال حرف جر بين المضاف والمضاف إليه ؛ وذلك لبيان وجه التعلق الدلالى بينهما، فيكون حرف الجر هنا هو العنصر الرابط بين العنصرين . فمن المعلوم أن التركيب الإضافى محتمل لكثير من الأبعاد الدلالية، فيأتى حرف الجر فى هذه الحالة ليقطع بدلالة معينة تربط بين المضاف والمضاف إليه، ويمنع هذا التعدد وذلك التنوع الذى يمكن أن تحتمله دلالة التركيب الإضافى . ويمكن القول بأن فك الإضافة بحرف الجر يعد من أرقى مستويات فك الإضافة من حيث الإبقاء على الترابط الدلالى بين عنصرى الإضافة، وليس أدل على ذلك من بقاء الاسم الثانى مجرورا كما كان فى حالة الإضافة، للدلالة على بقاء حالة التلاحم والترابط الدلالى بين العنصرين .

كما يمكن القول بأن فك الإضافة فى هذا المستوى لا يقتصر على حرف جر دون آخَرَ، بل إن كل حرف من حروف الجر صالح لكي يكون وسيلة لفك الإضافة .

. فمن أمثلة فك الإضافة باللام قولنا على سبيل المثال : " هذا كتابُ زيدٍ " حيث يمكن أن نقول فيه : "هذا كتابٌ لزيدٍ " . ويشيع استعمال اللام فى حالة فك الإضافة التى تفيد الملكية أو الاختصاص بصفة عامة كما نلاحظ فى هذا المثال .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُوَاْ أَنصَارَ اللّهِ﴾(الصف ١٤/٦٣) حيث قرأه بعضهم بالتنوين : " كونوا أنصاراً لله "[٢٩] .

كما يشيع استعمال اللام عند فك إضافة المصدر المضاف إلى مفعوله، فتركيب (تفصيل كل شيء) الذى ورد فى قوله سبحانه: ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَيْءٍ﴾(يوسف ١٢ / ١١١) تم فك الإضافة فيه باللام، وذلك فى قوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلّ شَيْءٍ مّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لّكُلّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف ٧ / ١٣٣) .

وتركيب (نصركم) فى قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (الأعراف ٧ / ١٩٧) قد تم فك الإضافة فيه باللام فى مثل قوله سبحانه : ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (الأعراف ٧ / ١٩٢) أى نصرهم .

ومثلما نلاحظ فى قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ (الطلاق٦٥ /١١) فالأصل : قد أحسن الله رزقه، وقوله تعالى:﴿فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً﴾ (الكهف١٨ / ٩٧) فالأصل : وما استطاعوا نقبه . وقوله تعالى: ﴿ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران٣/١٠٨) أي: ظلم العالمين. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾ (المائدة ٥ / ٧٦) فالأصل : مالا يملك ضركم ولا نفعكم .

كما تُستعمل هذه اللام أيضا فى حالة فك إضافة اسم الفاعل المضاف إلى مفعوله، فتركيب (مصدِّقُ الذى بين يديه) الوارد فى قوله سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مّصَدّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (الأنعام ٦/ ٩٢) قد تم فك الإضافة فيه باللام، فى قوله عز شأنه: ﴿نَزّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (آل عمران٣ / ٣). وعليه فاللام فى جميع الأمثلة السابقة هى أداة لفك الإضافة المفعولية، سواء بإضافة المصدر إلى مفعوله، أو بإضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، فهى هنا إذن حرفٌ مبيِّنٌ للمفعول به. وإن كان النحاة القدماء يرون أن هذه اللام هى لام التقوية التى يؤتى بها لتقوية عمل العامل(٣٠).

ـ ومن أمثلة فك الإضافة بمِنْ قولنا: " هذا خاتمُ ذهبٍ " إذ يمكن أن نقول فيه:" هذا خاتمٌ من ذهب " . ويشيع ذلك فى حالة فك الإضافة البيانية التى تفيد بيان النوع كما نلاحظ فى هذا المثال .

كما يشيع استعمال (من) فى حالة فك إضافة المصدر المضاف إلى فاعله، مثلما نلاحظ فى قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مّنَ الّذِينَ هَادُواْ حَرّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيّبَاتٍ أُحِلّتْ لَهُمْ وَبِصَدّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً﴾ فالأصل : (فبظلم الذين هادوا) . وقوله سبحانه : ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مّنْهُ﴾ (النساء ٤ / ١٧٥) بدلا من الأصل الإضافى (رحمته) الذى ورد فى مثل قوله تعالى : ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ (الجاثية ٤٥ / ٣٠) . وقوله سبحانه : ﴿تَنزِيلٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة ٥٦ / ٨٠) و(الحاقة ٦٩ /٤٣) بدلا من الأصل الإضافى الوارد فى قوله تعالى : ﴿وَإِنّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء ٢٦ / ١٩٢). وقوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبّةً مّنّي﴾ (طه٢٠ / ٣٩) فالأصل : وألقيت عليك محبتى . وقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعِدُكُم مّغْفِرَةً مّنْهُ وَفَضْلاً﴾ (البقرة ٢ / ٢٦٨) أى : مغفرته . وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ (البقرة ٢ / ٢٣٣) أى : تراضيهما .

ومن ثم فحرف الجر (من) فى هذه الأمثلة هو أداة لفك الإضافة الفاعلية، فهو حرف مبيَّن للفاعل .

وقد يتم فك التركيب الإضافى بمن التى بمعنى (مِن قِبل) أو (مِن لدن)، مثل تركيب (رسول الله) فهو بمعنى (رسول من الله) وتركيب (آية الله) أى (آية من الله) .

. ومن أمثلة فك الإضافة باستعمال حرف الجر (فى) قوله تعالى : ﴿ هُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ ﴾ (فاطر ٣٥/ ٣٩) بدلا من الأصل الإضافى (خلائف الأرض) الذى ورد فى قوله سبحانه : ﴿وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ ﴾ (الأنعام ٦ /١٦٥) . وقوله تعالى : ﴿مَتَاعٌ فِي الدّنْيَا ثُمّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس ١٠/ ٧٠) بدلا من الإضافة التى وردت فى مثل قوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء ٤ / ٧٧) . أى أن (فى) تُستعمل فى حالة فك الإضافة إلى المكان أو الزمان .

. ومن أمثلة فك الإضافة بالباء ما حدث فى تركيب (لمح البصر) الوارد فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْرُ السّاعَةِ إِلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ (النحل ١٦ /٧٧) حيث تم فك الإضافة فى هذا التركيب بالباء فى قوله سبحانه:﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر ٥٤ / ٥٠) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لاّ يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ﴾ (فصلت ٤١ /٤٩) حيث قرأ عبد الله : ﴿مِن دُعَآءٍ بالْخَيْرِ﴾[٣١] بتنوين دعاء .

– ومن أمثلة فك الإضافة باستعمال حرف الجر (على) تركيب (مطر المنذرين) فى قوله تعالى:﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (الشعراء ٢٦ /١٧٣) و(النمل ٢٧ /٥٨) . حيث يمكن أن يُعَبّر عنه بالمطر النازل على المنذرين .

وفى اللغة العربية نلاحظ تراكيب مثل :(أمير المؤمنين) و(والى مصر) و(مشرف الحفل) و (مشرف الرحلة) حيث يمكننا فك الإضافة فيها فنقول: (الأمير على المؤمنين) و (الوالى على مصر) و (المشرف على الحفل) و(المشرف على الرحلة) .

ـ ومن أمثلة فك الإضافة بحرف الجر (عن) قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (البروج ٨٥ /١٧)إذ يمكن أن نقول فى تفسيره: "هل أتاك حديثٌ عن الجنود " . ومصطلح (نائب الفاعل) يمكن أن نقول فيه :" النائب عن الفاعل "، وفى العربية المعاصرة نقول : " نائب الرئيس " و "وكيل المدَّعِى " و"وكيل العروس " ويمكننا فك الإضافة فيها فنقول : "نائب عن الرئيس "و "وكيلٌ عن المدّعِى" و "وكيلٌ عن العروس"، وغير ذلك .

– ومن أمثلة فك الإضافة باستعمال الكاف ما يمكن أن يُقال فى بيت امرئ القيس:

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفلِ

حيث يمكننا فك الإضافة فى هذه التراكيب الإضافية الأربعة باستعمال الكاف، عندما نقول فى معناه : له أيطلان كأيطلىْ ظبى، وساقان كساقىْ نعامة، وإرخاء كإرخاء سرحان، وتقريب كتقريب تتفل .

ومن ثم يمكن القول بأن فك الإضافة يمثل غرضا وظيفيا مهما لاستعمال حروف الجر فى اللغة العربية، وذلك لبيان وجه التعلق الدلالى بين المضاف والمضاف إليه، وإبعاد تلك الأوجه المتعددة التى يمكن أن تحتملها دلالة التركيب الإضافى، كما يمكن القول بأن التركيب الإضافى يمكن أن يحتمل معنى أى حرف من حروف الجر، وفقا للسياق الذى يرد فيه، وعليه فإن الزعم بأن دلالة الإضافة تقتصر على معنى اللام أومن

أو فى . كما ذهب النحاة القدماء . يُعد أمرا مخالفا لطبيعة الواقع اللغوى فى العربية، كما يُعد . فيما أرى . تضييقا لآفاق اللغة التى تفوق منطق العقل .

المستوى السابع :

فك الإضافة على سبيل التبعية :

وفيه يتم تحليل التركيب الإضافى إلى عنصريه، ليتحول أحدهما إلى عنصر تابع للآخر، ويتحول الآخر إلى متبوع له . فقد يتحول المضاف إلى عنصر متبوع، ويصير المضاف إليه عنصرا تابعا له، وقد يحدث العكس فيتحول المضاف إليه إلى عنصر متبوع ويصير المضاف عنصرا تابعا له . ويمكن القول بأن فك الإضافة على سبيل التبعية يتخذ أربعة أشكال أساسية، وهى على النحو الآتى :

الأول : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب وصفى .

الثانى : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب التوكيد المعنوى .

الثالث : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب البدل.

الرابع : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب عطف النسق .

وفيما يلى تفصيل لذلك :

أولا : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب وصفى :

فى كثير من الأحيان يتحول التركيب الإضافى إلى تركيب وصفى، والقراءات القرآنية خير شاهد لذلك، فمن ذلك على سبيل المثال ما يأتى(٣٢):

١ – قوله تعالى:﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ ﴾(فاطر ٤٤/٣٥) حيث قرأ ابن مسعود (ومكرًا سيئًا).

٢ – قوله تعالى:﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (التوبة ٦١/٩) حيث قرأ نافع : (قل أذنٌ خيرٌ لكم) .

٣ – قوله تعالى :﴿ لّسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ ﴾ (النحل ١٦ /١٠٣) حيث قرأ الحسن :(اللسان الذى).

٤- قوله تعالى : ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مّسْتَمِرّ ﴾ (القمر ١٩/٥٤) حيث قرأ الحسن : (فى يومِ نحِسٍ) بتنوين يوم .

٥- قوله تعالى: وَذَلِكَ دِينُ القَيّمَةِ﴾(البينة ٥/٩٨) حيث قرأ عبد الله: (وذلك الدين القيمة) .

وقد سبق أن أشرنا إلى ظاهرة التبادل التركيبى بين الإضافة والنعت، وتناولنا أبعادها الدلالية فى بحث سابق(٣٣).

ثانيا : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب التوكيد المعنوى :

من المعلوم أن التوكيد المعنوى يكون باستعمال ألفاظ خاصة وهى : النفس والعين وكل جميع وعامة وكلا وكلتا،ويُشترط فيها أن تأتى بعد المؤكّد، وأن يتصل بها ضمير يعود على المؤكد ويطابقه .

وتحول التركيب الإضافى إلى تركيب التوكيد المعنوى واضح كل الوضوح، وعلى سبيل المثال فقولنا : " نجح كلُّ الطلابِ " يمكن أن نقول فيه : "نجح الطلابُ كلهم" وقولنا :" نجح كلا الطالبين " يمكن أن نقول فيه: " نجح الطالبان كلاهما " وهكذا مع سائر ألفاظ التوكيد المعنوى باستثناء النفس والعين، نظرا لما يؤدى إليه استعمالهما مضافتين إلى المؤكد من الوقوع فى اللبس . وعلى سبيل المثال فنحن إذا أردنا تحويل تركيب التوكيد المعنوى إلى تركيب إضافى فى قولنا : "خرجت هندٌ نفسُها "أو " خرجت هندٌ عينُها " لقلنا : "خرجت نفسُ هندٍ "أو"خرجت عينُ هندٍ "ولا يخفى ما يحدثه ذلك من تغيير واضح فى المعنى .

ثالثا : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب البدل :

يمكن القول بأن باب البدل – فى معظم صوره – ليس إلا أثراً من آثار ظاهرة فك الإضافة على سبيل التبعية، فمن المعلوم أن للبدل أنواعا ثلاثة، وهى : بدل مطابق، وبدل اشتمال، وبدل بعض من كل . ومن الواضح الذى لا جدال فيه أن كلا من بدل الاشتمال وبدل البعض يعد صورة تركيبية محوّلة من تركيب إضافى أصلى . وعلى سبيل

المثال فقولنا :"أعجبنى زيدٌ خلقُه "يمكن اعتباره محولاً عن أصلٍ إضافى هو : " أعجبنى خلقُ زيدٍ"، وكذلك قولنا: " قرأت الكتابَ نصفَه" أصله: " قرأت نصفَ الكتاب".

- وقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبّـكَ مِـن بَنِـيَ آدَمَ مِـن ظُهُـورِهِمْ ذُرّيّـتَهُمْ﴾ (الأعراف ٧/ ١٧٢) الأصل فيه : (وإذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم) .
- قولـه تعـالى :﴿ لّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مّن فِضّـةٍ ﴾ (الزخرف ٣٣/٤٣) الأصل فيه : (لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن) .
- قوله تعالى:﴿لاّ يَعْصُونَ اللّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾(التحريم ٦٦ / ٦) أصله:(لا يعصون أمر الله) .
- قولـه تعالى : ﴿ وَالّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ (الزمر٣٩ / ١٧) أصله : (والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت)
- قولـه تعـالى :﴿ وَلَوْلاَ دَفْـعُ اللّـهِ النّـاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة ٢ / ٢٥١) أصـله : (لـولا دفع الله بعضَ الناس ببعض).
- قولـه تعـالى :﴿وَمَـآ أَنْسَـانِيهُ إِلاّ الشّـيْطَانُ أن أذكـره﴾ (الكهـف ١٨ / ٦٣) أصـلـه : (ومـا أنسانى ذكره إلا الشيطان) .

أما البدل المطابق فإنه يكون فى بعض الأحيان محوّلا من تركيب إضافى ، فالتركيب الإضافى (جزاءُ الضعفِ) فى قولـه تعالى : ﴿ فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضّـعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ (سبأ ٣٤/٣٧) قد قرأه بعضهم: (لهم جزاءٌ الضعفُ) برفع الجزاء وتنوينه، على أنه مبتدأ مؤخر، و (لهم) خبر مقدم، و(الضعفُ) بالرفع على أنه بدل من الجزاء[٣٤].

رابعا : فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب عطف النسق :

فى بعض الأحيان يتم فك الإضافة بتحليل التركيب الإضافى إلى عنصريه، ليتحول إلى تركيب عطف النسق، وقد لاحظت لهذا التحوّل أنماطا ثلاثة :

النمط الأول : أن يتحول المضاف إلى موقع الاسم المعطوف عليه، ويتحول المضاف إليه إلى موقع الاسم المعطوف ، وذلك على النحو الموضح فى هذا الشكل :

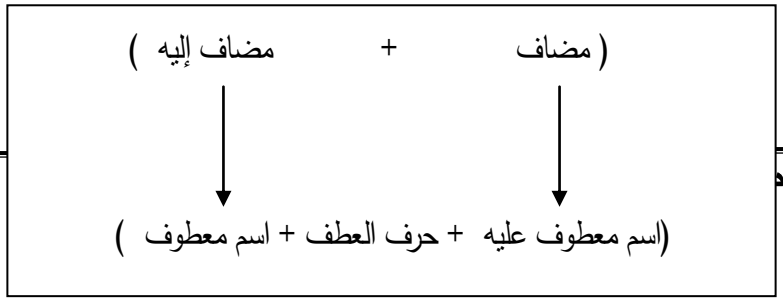

ومن أظهر أمثلة هذا النمط تركيب (جنات النعيم)[٣٥] فى مثل قوله تعالى : ﴿إِنّ لِّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبّهِمْ جَنّاتِ النّعِيمِ﴾ (القلم ٦٨ /٣٤)، حيث تحول فى موضع آخر من السياق القرآنى إلى تركيب (جناتٍ ونعيمٍ)، وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ (الطور ١٧/٥٢) .

ولعل من هذا النمط أيضا– فيما أرى – تركيب (تحيةً وسلاما) فى قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقّوْنَ فِيهَا تَحِيّةً وَسَلاَماً﴾ (الفرقان٢٥/ ٧٥) حيث يمكن اعتباره محوّلا عن تركيب إضافى هو : (تحية السلام)[٣٦] ، وقد حدث فيه ما حدث فى تركيب (جنات النعيم)، وعليه فلا داعى – عندى – لتلك التأويلات التى ذكرها بعض المفسرين فى تفسير هذا التركيب، والتى بنوها على أساس قاعدة العطف يقتضى المغايرة[٣٧] فلا يوجد هنا مغايرة بين المعطوف و المعطوف عليه ؛ لأن التحية هى السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَحِيّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ (يونس ١٠/١٠) وقوله سبحانه : ﴿تَحِيّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ ﴾ (الأحزاب ٤٤/٣٣) .

<u>والنمط الثانى :</u> أن يتحول المضاف إليه إلى موقع الاسم المعطوف عليه ،ويتحول المضاف إلى موقع الاسم المعطوف متصلاً بضمير يعود على الاسم المعطوف عليه، وذلك مثلما نلاحظ فى هذا الشكل :

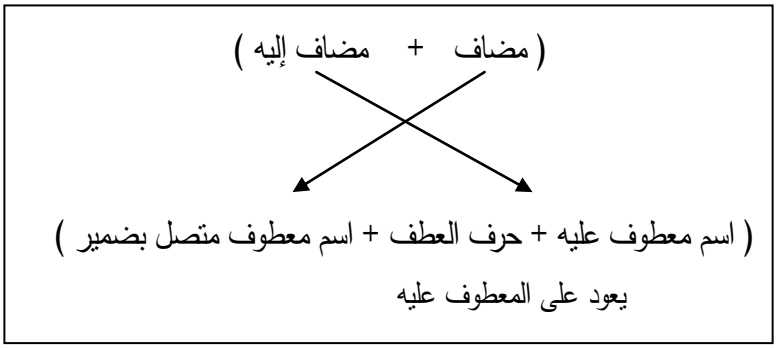

ومن أوضح أمثلة هذا النمط تركيب (زينة الحياة الدنيا) فى مثل قوله سبحانه : ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا ﴾ (الكهف ١٨ /٢٨) حيث يتحول هذا التركيب الإضافى إلى تركيب العطف : (الحياة الدنيا وزينتها) فى مواضع أخرى، مثلما نلاحظ فى قوله سبحانه :﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴾ (هود١١ / ١٥) وقوله تعالى : ﴿ يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتّعْكُنّ ﴾ (الأحزاب ٢٨/٣٣) .

وكذلك تركيب (آيات الله) فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقّ فَبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الجاثية ٤٥/ ٦) ،حيث تحول التركيب الإضافى (آيات الله) إلى تركيب العطف : (الله وآياته)، فتحول المضاف إليه (لفظ الجلالة) إلى اسم معطوف عليه ،وتحول المضاف (آيات) إلى اسم معطوف، متصلاً بضمير يعود على المعطوف عليه . فالمعنى – كما يُفهم من السياق – : (تلك آيات الله .... فبأى حديث بعد آيات الله يؤمنون) . ولذلك فإننى أميل إلى ترجيح الرأى الأول فيما ذكره الزمخشرى فى تفسير هذا التركيب ،حيث يقول:" (بعد الله وآياته) أى :بعد آيات الله، كقولهم : "أعجبنى زيد وكرمه "يريدون: كرم زيد. ويجوز أن يُراد: بعد حديث الله، وهو كتابه وقرآنه، كقوله تعالى:﴿اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مّتَشَابِهاً﴾ (الزمر٣٩/ ٢٣) "[٣٨].

ولكن أبا حيان قد أخذ بالرأى الثانى من هذين الرأيين اللذين ذكرهما الزمخشرى فى هذا النص، وعدّ أبو حيان الرأى الأول قلبا لحقائق النحو، وذلك حيث يقول فى تفسير هذه الآية الكريمة :" (بعد الله) أى بعد حديث الله، وهو كتابه وكلامه، كقوله : ﴿ اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مّتَشَابِهاً ﴾ (الزمر ٣٩ / ٢٣) وقال:﴿ فَبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (المرسلات ٧٧ /٥٠) وقال الضحاك : بعد توحيد الله . وقال الزمخشرى:" (بعد الله وآياته) أى: بعد آيات الله ،كقولهم : أعجبنى زيد وكرمه، يريدون: أعجبنى كرم زيد ." انتهى .

" وهذا ليس بشىء، لأن فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورة، والعطف والمراد غير العطف من إخراجه إلى باب البدل؛ لأن تقدير (كرم زيد) إنما يكون فى :(أعجبنى زيدٌ كرمُه) بغير واو على البدل، وهذا قلب لحقائق النحو . وإنما المعنى فى

: (أعجبنى زيدٌ وكرمُه) أن ذات زيد أعجبته، وأعجبه كرمه، فهما إعجابان لا إعجاب واحد"[٣٩].

والذى أراه أن أبا حيان فى هذا النص كان متحاملا على الزمخشرى تحاملا شديدا، حيث لم ينسب للزمخشرى إلا قولا واحدا مع أنه قد ذكر القولين فى تفسير الآية الكريمة هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن تحول التركيب الإضافى إلى تركيب عطف النسق على شاكلة هذا النمط الذى نحن بصدده أمر يُقره الواقع اللغوى، ويشهد له السياق القرآنى، وتقبله أساليب العربية . فقد لاحظنا أن تركيب (زينة الحياة الدنيا) قد تحول فى مواضع أخرى إلى تركيب (الحياة الدنيا وزينتها) . ويُقال فى الدعاء المأثور : " اللهم إنا نعوذ بك من الموت وسكرته، ومن القبر ووحشته، ومن الليل وظلمته، ومن يوم القيامة وشدته " وهذه التراكيب محولة عن تراكيب إضافية، والأصل فيها – على الترتيب – : (اللهم إنا نعوذ بك من سكرة الموت، ومن وحشة القبر، ومن ظلمة الليل، ومن شد ة يوم القيامة) . ويقال : "عانَى الرجل من الفقر وقسوته، ومن المرض وشدته، ومن الحرمان ومرارته " والأصل: (عانى الرجل من قسوة الفقر، ومن شدة المرض، ومن مرارة الحرمان) .

بل إن أبا حيان نفسه قد ذكر – فى تفسيره – بيتين يؤكدان تلك العلاقة التبادلية الوثيقة بين الإضافة وعطف النسق من هذا النمط، ففى تفسير تركيب (ريب المنون) فى قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ (الطور ٥٢ /٣٠) قال أبو حيان : " و (ريب المنون) حوادث الدهر، فإنه لايدوم على حال، قال الشاعر :

تربصْ بها ريبَ المنون لعلها تُطلّقُ يوما أو يموتَ حليلها

وقال الهندى :

أمِنَ المنونِ وريبها تتوجعُ والدهر ليس بمُعتبٍ مَنْ يجزعُ[٤٠]" .

ففى البيت الأول – فى هذا النص – استُعمِل التركيبُ الإضافى الأصلى (ريب المنون)، وفى البيت الثانى تم فك الإضافة، وتحويلها إلى تركيب عطف النسق من هذا النمط، وهو : (المنون وريبها) .

ولعل من هذا النمط أيضا تركيب ﴿نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (الشمس ٩١/ ١٣) إذ يمكن اعتباره محولاً عن تركيب إضافى أصلى، هو : (سقيا ناقة الله) .

ويمكن القول بأن تركيب عطف النسق المحوّل عن تركيب إضافى – مثلما يحدث فى هذا النمط – وإن كان من حيث اللفظ يعبر عن شيئين اثنين هما المعطوف عليه والمعطوف، فإنه من حيث المعنى يعبر عن شىء واحد ؛ لأن التركيب الإضافى يقوم مقام العنصر الواحد فى الجملة . ولذلك يجو ز التعامل معه على أنه اسم واحد، وهو الاسم المعطوف عليه، والدليل على ذلك توحيد الضمير فى (دعاكم) فى قوله سبحانه: ﴿ يَـأَيّهَا الّـذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للّهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال ٨ / ٢٤) فالأصل . والله أعلم . : (استجيبوا لرسول الله إذا دعاكم)، ولكن السياق قد حوَّل التركيب الإضافى (رسول الله) إلى تركيب عطف النسق (الله ورسوله) ليشير إلى معنى آخر يُضاف إلى المعنى الأصلى، وهو أن من يستجب لدعوة رسول الله فقد استجاب لله تعالى، مثلما قال سبحانه فى آية أخرى : ﴿ مّنْ يُطِعِ الرّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ (النساء ٤ / ٨٠) .

وكذلك توحيد الضمير فى (يرضوه) فى قوله سبحانه :﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّـهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة ٩ /٦٢) حيث قال : (أحق أن يرضوه) ولم يقل : (أحق أن يرضوهما) ؛ على اعتبار أصل المعنى ؛ وهو– والله أعلم – : (ورسول الله أحق أن يرضوه)، ولكن السياق عبّر عن التركيب الإضافى (رسول الله) بتركيب العطف (الله ورسوله) لإفادة تكرار إسناد الخبر– وهو أحقية الإرضاء – إلى كل من المعطوف والمعطوف عليه، فيدل بذلك على معنى آخر يُضاف إلى المعنى الأصلى، وهو أن إرضاء الله يكون بإرضاء رسوله، وإرضاء رسول الله يُعدّ إرضاءً لله .

ولكن نظرا لعدم تنبه القدماء إلى هذه العلاقة التبادلية الوثيقة التى تربط بين الإضافة وتركيب عطف النسق، فقد أدى بهم ذلك إلى تباين مذاهبهم فى تفسير التركيب السابق وإعرابه .

فقد ذهب سيبويه إلى أن قوله تعالى :﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّـهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة ٩ /٦٢) هو على حذف خبر الأول، وتقديره

عنده : (والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه) [٤١] على حين يذهب المبرد إلى أنه على التقديم والتأخير، والتقدير عنده : (والله أحق أن يرضوه ورسوله) " فاجتزأ بخبر الواحد عن الجميع، وإنما اختاروا إعمال الآخر ؛لأنه أقرب من الأول"[٤٢] .

والذى أميل إليه أن هذا التركيب ليس على حذف خبر الأول، ولا على التقديم والتأخير، ولكنه على اعتبار مراعاة أصل المعنى، فتركيب (الله ورسوله) فى هذا السياق – بصفة خاصة – محوّل عن التركيب الإضافى (رسول الله) لأبعاد دلالية يرمى إليها السياق .

ولذلك فإننى أميل إلى ترجيح الرأى الأول فيما ذكره الفراء فى تفسير هذه الآية الكريمة، حيث قال : " وحّد (يرضوه)، ولم يقل : (يرضوهما) ؛ لأن المعنى – والله أعلم – بمنزلة قولك : " ما شاء الله وشئت " ،إنما يقصد بالمشيئة قصد الثانى، وقوله : " ما شاء الله " تعظيم لله مقدم على الأفاعيل، كما تقول لعبدك : "قد أعتقك الله وأعتقتك " . وإن شئت أردت : (يرضوهما) فاكتفيت بواحد، كقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عِنْ دَكَ راضٍ والرأىُ مختلفُ

ولم يقل : راضون"[٤٣] .

<u>النمط الثالث</u> : أن يتم التعبير عن التركيب الإضافى بأسلوب العطف على سبيل الكناية :

فقد يكون تركيب العطف – فى بعض الأحيان – كناية عن تركيب إضافى، كأن يكون تركيب العطف كناية عن تركيب إضافى تقديره : (كل الوقت) مثلما نلاحظ فى تركيب(بكرةً وعشياً) فى قوله سبحانه:﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾(مريم ١٩/ ٦٢) إذ ليس من المعقول أن يقتصر رزق أهل الجنة على وقتى البكور والعشىّ فقط دون غيرهما من الأوقات، بل المراد أن رزقهم دائم كلّ الوقت . وكذلك تركيب (غدوا وعشيا) فى قوله تعالى – عن عذاب فرعون وجنوده – :﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ (غافر ٤٠/٤٦). و تركيب (ليلا ونهارا) فى قوله تعالى – على لسان نوح عليه السلام – : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنّي

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ﴾ (نوح ٧١ / ٥) . وتركيب (بكرة وأصيلا) فى قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (الإنسان ٧٦/٢٥) .

وقد يكون تركيب العطف كناية عن تركيب إضافى تقديره (بعض الوقت) مثلما نلاحظ فى تركيب (عشيةً أو ضحاها) فى قوله سبحانه : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاّ عَشِيّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات ٧٩ /٤٦) فالمعنى : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا بعض يوم) بدليل مثل قوله سبحانه : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَآدّينَ ﴾ (المؤمنون ٢٣ /١١٢-١١٣) .

وقد يكون تركيب العطف كناية عن تركيب إضافى تقديره (كل حال) مثلما نلاحظ فى تركيب (السراء والضراء) فى قوله تعالى عن صفات المؤمنين :﴿ الّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السّرّآءِ وَالضّرّآءِ ﴾ (آ ل عمران ٣/ ١٣٤) . و تركيب (قياما وقعودا وعلى جنوبهم) فى قوله سبحانه:﴿ الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران ٣/١٩١) . وهكذا يُستعمل تركيب العطف كثيرا ليعبر عن تركيب إضافى يمكن تقديره من خلال السياق .

تعقيب :

مما سبق يتضح لنا أن فك الإضافة على سبيل التبعية له – بوجه عام – اتجاهان أساسيان :

الاتجاه الأول : يكون بتحويل المضاف إلى عنصر متبوع، وتحويل المضاف إليه إلى عنصر تابع له .

وقد رأينا ذلك يحدث فى الأنماط الآتية :

١- فى حال تحوّل التركيب الإضافى إلى تركيب وصفى .

٢- فى حال تحول التركيب الإضافى إلى تركيب البدل المطابق .

٣- فى حال تحول التركيب الإضافى إلى النمط الأول من عطف النسق .

و الاتجاه الثانى : يكون على العكس من ذلك، حيث يتم فيه تحويل المضاف إليه إلى عنصر متبوع، ووقوعه موقع الاسم المضاف ،وتحويل المضاف إلى عنصر تابع له، و متصل بضمير يعود على المتبوع ويطابقه، ويحدث ذلك فى الأنماط الآتية :

١) فى حال تحول التركيب الإضافى إلى تركيب التوكيد المعنوى .

٢) فى حال تحول التركيب الإضافى إلى تركيب بدل البعض .
٣) فحال تحول التركيب الإضافى إلى تركيب بدل الاشتمال .
٤) فى حال تحول التركيب الإضافى إلى النمط الثانى من عطف النسق .

ومع أن هذين الاتجاهين يشتركان فى غاية واحد ة ،تتمثل فى تحويل العلاقة بين العنصرين من علاقة الإضافة إلى علاقة التبعية، فإنهما يختلفان فى البعد الدلالى .

فالاتجاهان يشتركان فى تحليل التركيب الإضافى إلى عنصريه، وتحويله من مركّب يقوم مقام العنصر الواحد فى الجملة إلى عنصرين اثنين، مما يؤدى إلى إظهار القيمة الدلالية لكل عنصر منهما على حدة وتأكيدها، وذلك بسبب تكرار الإسناد إليهما، وتكرار عمل العامل فى كل من المتبوع والتابع . ولكن ثمة فرقا دلاليا مهما بينهما على النحو الآتى :

– **فى الاتجاه الأول :** يترتب على تحويل المضاف إلى عنصر متبوع أن يبقى كما هو محور اهتمام السياق ،وهو المؤثر فى مضمونه ؛ لأن المتبوع هو العنصر المرتبط بالعوامل النحوية فى الجملة، ويتحول المضاف إليه هنا إلى مجرد عنصر تابع للمضاف .

– **وفى الاتجاه الثانى :** يترتب على تحويل المضاف إليه إلى عنصر متبوع، ووقوعه موقع الاسم المضاف أن يتحول الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه بدلا من المضاف . فيصير المضاف إليه هو محور اهتمام السياق، وهو المؤثر فى مضمونه بدلا من المضاف ، لأنه قد صار العنصرَ المرتبط بالعوامل النحوية فى الجملة، مما يؤدى إلى تأكيد قيمته الدلالية ،وتعظيم شأنه . ويتحول المضاف هنا إلى عنصر تابع للمضاف إليه .

ومن جهة أخرى فإن إضافة التابع إلى ضمير يعود على المتبوع فيه – بخلاف وظيفة الربط بينهما – تأكيد آخر لقيمة العنصر المتبوع الذى كان فى الأصل مضافا إليه . وذلك لأن الإضافة إلى الضمير تفيد تأكيد مرجع هذا الضمير ،مثلما نلاحظ فى تركيب (أجرهم) فى قوله تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة ٢ / ٦٢) وتركيب (رزقهم) فى

قوله سبحانه : ﴿ لاّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاّ سَلاَماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ (مريم ١٩ / ٦٢) حيث كان من الجائز أن يُقال – فى غير القرآن – : لهم أجرٌ، ولهم رزقٌ، ولكن السياق القرآنى عدل عن ذلك وأضافهما إلى الضمير لما فى ذلك من تأكيد واضح لقيمة مرجع الضمير .

المستوى الثامن :

فك الإضافة على سبيل التفسير بالتمييز[٤٤] :

وفى هذا المستوى يتم تفكيك التركيب الإضافى وتحليله إلى عنصريه، ليكون أحدهما مفسرًا للآخَر على أنه تمييز له .

ويمكن القول بأن باب التمييز – فى معظمه – ليس إلا أثرا من آثار ظاهرة فك الإضافة فى النحو العربى . وهذا المستوى من مستويات فك الإضافة يندرج تحته نمطان اثنان :

النمط الأول : أن يتحول المضاف إلى اسم مميّز، ويتحول المضاف إليه إلى اسم منصوب على التمييز.

وذلك على النحو الموضح فى هذا الشكل :

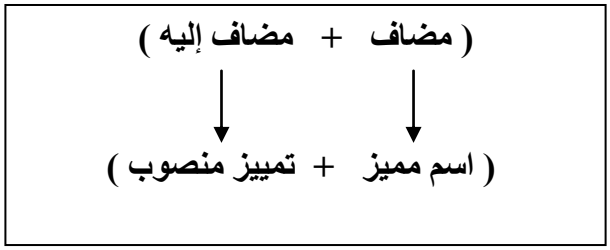

والنمط الثانى : أن ينتقل المضاف إليه إلى موقع المضاف، فيحل محله ويصير اسما مميّزا، ويتأخر المضاف منصوبا على التمييز، وذلك على النحو الموضح فى هذا الشكل :

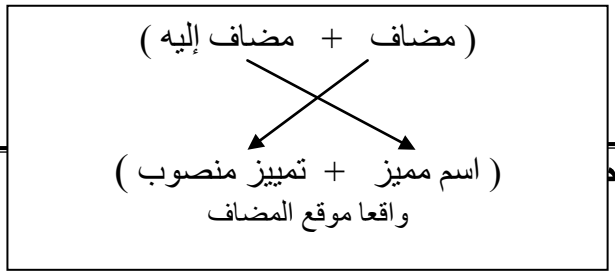

ومن المعلوم أن التمييز – عند جمهور النحاة – نوعان :

الأول : تمييز المفرد، وهو المبين إجمال ذات .

والثانى : تمييز الجملة، وهو المبين إجمال نسبة .

حيث يقول ابن عقيل فى تعريف التمييز: " هو كل اسم، نكرة، متضمن معنى (من) ؛ لبيان ما قبله من إجمال ؛ نحو : "طاب زيدٌ نفسًا، وعندى شبرٌ أرضاً" ...

"فالمبين إجمال الذات هو الواقع بعد المقادير، وهى : الممسوحات، نحو :" له شبرٌ أرضا "والمكيلات ،نحو :" له قفيزٌ برا "، والموزونات، نحو :"له منوانِ عسلا وتمرا "، والأعداد، نحو : " عندى عشرون درهما "...

والمبين إجمال النسبة هو المسوق لبيان ما تعلق به العامل من فاعل أو مفعول، نحو : " طاب زيدٌ نفسا " ومثله : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (مريم ١٩ / ٤)، و"غرست الأرض شجرا " ومثله : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾ (القمر ٥٤/ ١٢) "[٤٥].

وبخصوص النوع الأول من نوعى التمييز فقد قسّمه ابن هشام إلى أربعة أقسام، هى :

١– أن يقع بعد الأعداد من أحد عشر إلى تسعة وتسعين، مثل: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾ (يوسف ١٢ /٤) و ﴿ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (ص ٣٨ /٢٣) .

٢. أن يقع بعد المقادير، وهذا بدوره على ثلاثة أقسام :

أ) ما يدل على وزن، مثل : رطلٌ زيتا، ومنوان سمنا .

ب) ما يدل على مساحة، مثل : شبرٌ أرضا .

ج) ما يدل على كيل، مثل : قفيز برا، وصاع تمرا .

٣ـ أن يقع بعد أشباه المقادير، مثل :﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً ﴾ (الزلزلة ٩٩ /٧)، وملء الإناء عسلا .

٤– أن يقع بعد ما هو متفرع منه، مثل: خاتمٌ حديدا، وبابٌ ساجا، وجبة خزًّا ... [٤٦].

ويمكن القول بأن هذا النوع الأول من نوعى التمييز – باستثناء تمييز العدد وأشباه المقادير – يمثل النمط الأول من نمطى فك الإضافة على سبيل التمييز، و الذى يكون بتحويل المضاف إلى اسم مميز، وتحويل المضاف إليه إلى تمييزٍ له . فالتبادل التركيبى واضح بين الإضافة وهذا النوع من التمييز . إذ يمكننا أن نعد أمثلة التمييزمن هذا النوع محولة عن تراكيب إضافية، وعلى سبيل المثال فتراكيب التمييز فى قولنا : " اشتريتُ فدّانا أرضا، و أردبا قمحا، ورطلا عسلا، وخاتما حديدا " يمكن أن نعدها محولة عن تراكيب إضافية هى: فدانَ أرضٍ، وأردبَّ قمحٍ، ورطلَ عسلٍ، وخاتمَ حديدٍ .

كما يمكن القول بأن النوع الثانى من نوعى التمييز ،وهو تمييز الجملة – فى معظم صوره – يمثل النمط الثانى من نمطى فك الإضافة على سبيل التمييز، و الذى يكون بتحويل المضاف إليه إلى اسم مميز – واقعا موقع الاسم المضاف – وتحويل المضاف إلى تمييزٍ له . فالتبادل التركيبى واضح كذلك بين الإضافة وهذا النوع من التمييز. إذ يمكننا أن نعد معظم تراكيب التمييز من هذا النوع محولة عن تراكيب إضافية من هذا النمط .

وتتنوع المواقع النحوية للاسم المضاف الذى يتحول إلى تمييز فى هذا النمط على حسب السياق، فقد يكون– فى الأصل – فاعلا ، مثلما نلاحظ فى الأمثلة الآتية :

– قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (مريم ١٩ /٤)، فهو محول عن تركيب (اشتعل شيبُ الرأسِ).

– قوله تعالى :﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مّنْهُ نَفْساً ﴾ (النساء٤/٤) فهو محول عن تركيب (فإن طابت أنفسُهُنَّ).

– قوله تعالى :﴿ رَبّنَا وَسِعْتَ كُلّ شَيْءٍ رّحْمَةً وَعِلْماً ﴾ (غافر٤٠ /٧) فالأصل : (وسعتْ رحمتُك كلَّ شىء) .

وقد استعمل السياق القرآنى هذا الأصل الإضافى فى مثل قوله تعالى :﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف ٧ /١٥٦)

– قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبّنَا كُلّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾(الأعراف ٧ /٨٩) فالأصل :(وسع علمُ ربنا كلَّ شىء) .

– قولـه تعالى : ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ (هود١١ /٧٧) فالأصل : (وضاق ذرعُه بهم) .

– قولـه تعـالى : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ (يوسف ١٢ /٣٠) " فالأصل : قد شغفها حبُّه"[٤٧] .

وقد يكون المضاف الذى يتحول إلى تمييز فى هذا النمط – فى الأصل– مفعولا به، مثلما نلاحظ فى الأمثلة الآتية :

– قولـه تعـالى : ﴿وَفَجَّرْنَـا الأَرْضَ عُيُونـاً ﴾ (القمـر ١٢/٥٤) فالأصـل : (وفجرنـا عيـون الأرض).

– قوله تعالى:﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾(الإسراء ٣٧/١٧) فالأصل: (ولن تبلغ طولَ الجبالِ) .

وإن كان أبو حيان يقول فى هذه الآية : " والأجود انتصاب قوله (طولا) على التمييز، أى لن يبلغ طولُك الجبالَ، وقال الحوفى : (طولا) نصب على الحال، والعامل فى الحال (تبلغ)، ويجوز أن يكون العامل (تخرق)، و (طولا) بمعنى (متطاول) انتهى. وقال أبو البقاء : (وطولا) مصدر فى موضع الحال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن يكون تمييزا، ومفعولا له، ومصدرا من معنى تبلغ انتهى "[٤٨].

– قولـه تعالى :﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّـهَ حَدِيثاً ﴾ (النساء٤ / ٤٢) فالأصل : (ولا يكتمون حديثَ الله).

– قولـه تعالى :﴿ وَأَحْصَىَ كُلّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾ (الجن ٢٨/٧٢) فالأصل : (وأحصى عددَ كل شىء)[٤٩].

– قولـه تعالى :﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (المائدة ٥/ ٣) فالأصل : (ورضيت لكم دينَ الإسلام)[٥٠].

– قوله تعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (طه ٢٠ /١١٤) فالأصل : (زِدْ علمى) .

– قوله تعالى :﴿وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمَا ﴾ (الطلاق ٦٥/ ١٢) فالأصل: (قد أحاط علمُه بكل شىء)[٥١].

وقد يكون المضاف هنا – فى الأصل – مبتدأ ؛ مثلما نلاحظ فى الأمثلة الآتية :

– قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَشَدّ بَأْساً وَأَشَدّ تَنكِيلاً ﴾ (النساء ٤/ ٨٤) فالأصل : (بأسُ اللهِ أشد، وتنكيله أشد).

– قوله تعالى :﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً ﴾ (النساء ٤ /٨٧) فالأصل :(حديثُ مَن أصدق).

– قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمّن دَعَآ إِلَى اللّهِ ﴾ (فصلت ٤١ /٣٣) فالأصل : (قول مَن أحسن) .

– قوله تعالى : ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرّ مّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾ (مريم ١٩ /٧٥) فالأصل : (فسيعلمون من مكانه شرٌّ وجندُه أضعف).

– قوله تعالى :﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مّرَدّاً ﴾ (مريم ١٩ / ٧٦) فالأصل : (ثوابُ الباقياتِ الصالحاتِ خيرٌ، ومردها خير) .

– قوله تعالى :﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء ١٧ /٢١) فالأصل : (درجاتُ الآخرةِ أكبرُ، وتفضيلها أكبر) .

– قوله تعالى :﴿وَيَقُولُونَ لِلّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَىَ مِنَ الّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً﴾(النساء٤/٥١) . فالأصل : (سبيلُ هؤلاء أهدى)

– قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء٤ /٥٩) فالأصل : (وتأويلُ ذلك أحسنُ) .

– قوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً ﴾ (القصص ٢٨ /٣٤) فالأصل : (لسانُه أفصحُ من لسانى)

وقد يكون المضاف هنا – فى الأصل – اسماً لكان، مثلما نلاحظ فى قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (الكهف ١٨/ ٥٤) فالأصل : (وكان جدلُ الإنسانِ أكثرَ شىء) . ولذلك فإننى أرجِّح الوجه الثانى من هذين الوجهين اللذين يذكرهما العكبرى فى إعراب هذه الآية، حيث يقول : " فيه وجهان :

أحدهما: إن شيئا هنا فى معنى مجادل، لأن أفعل يُضاف إلى ما هو بعض له . وتمييزه بجدلا يقتضى أن يكون الأكثر مجادلا .

والثانى: أن فى الكلام محذوفا تقديره: (وكان جدالُ الإنسانِ أكثر شىءٍ) ثم ميَّزه"(٥٢) .

وهكذا نلاحظ – من خلال جميع الأمثلة السابقة – أن التمييز بنوعيه يمثل مظهرا من مظاهر فك الإضافة فى اللغة العربية، وعليه فإننى أرى أنه ينبغى أن يُشترط فى التمييز الحقيقى أن يكون محولا عن تركيبٍ إضافى . فإذا لم يكن محولا عن تركيب إضافى فهو – فى الحقيقة – ليس بتمييزٍ خالص، ولكنه شبيه بالتمييز .

فكرة التحول فى باب التمييز عند القدماء :

لقد فطن جمهور النحاة القدماء إلى فكرة التحوُّل فى باب التمييز، ولكن تباينت مذاهبهم فى تصور هذا التحول، ويمكن حصر هذه المذاهب فى ثلاثة اتجاهات :

أما الاتجاه الأول : وهو اتجاه جمهور النحاة فهو يقصر هذا التحول على تمييز النسبة، أما تمييز المفرد فليس فيه تحول عندهم .

فيقول **الصَّيمرى** : " والتمييز على ضربين : أحدهما منقول عن أصله، والآخر غير منقول .

فالمنقول نحو قولك : " تصبب عرقا، وحسن وجها، وتفقأ شحما، وطاب نفسا . كان الأصل : تصبب عرقُه، وحسن وجهُه ،و تفقأ شحمُه، وطابت نفسُه، ثم نُقل الفعل عن فاعله، وجعل لما هو من سببه ؛ للتصرف فى الكلام والاتساع فيه .

" وأما غير المنقول : فما كان بعد المقادير من المكيل، والموزون، والمعدود، والممسوح . كقولك : عنده كُرَّان شعيرًا، ومنوان سمنا، وعشرون درهما، وطوله ثلاثون ذراعا"(٥٣) .

كذلك يقول **الأشمونى** : " والمبهم المفتقر إلى التمييز نوعان : جملة، ومفرد دال على مقدار .

فتمييز الجملة : رفع إبهام ما تضمنته من نسبة عامل، فعلا كان أو ماجرى مجراه ،من مصدر أو وصف أو اسم فعل إلى معموله من فاعل أو مفعول، نحو : طاب زيدٌ نفسا ،واشتعل الرأس شيبا . والتمييز فى مثله محول عن الفاعل، والأصل : اشتعل شيب

الرأس . ونحو : غرست الأرض شجرا، وفجرنا الأرض عيونا. والتمييز فيه محول عن المفعول، والأصل: غرست شجرَ الأرض، وفجرنا عيونَ الأرض.

وأما تمييز المفرد فإنه رفع إبهام ما دل عليه من مقدار مساحى ، أو كيلى، أو وزنى، كشبرٍ أرضا، وقفيز بُراً، ومنوين عسلا وتمرا"(٥٤).

وأما الاتجاه الثانى : فممن ذهب إليه الزمخشرى وابن يعيش حيث ذهبا إلى أن باب التمييز كله محول عن أصله، وأن تراكيب تمييز المفرد محولة عن تراكيب وصفية، فيقول الزمخشرى :" واعلم أن هذه المميزات عن آخرها أشياء مزالة عن أصلها، ألا ترى إذا رجعت إلى المعنى أنها متصفة بما هى منتصبة عنه، ومنادية على أن الأصل : عندى زيتٌ رطلٌ، وسمنٌ منوان، ودراهم عشرون، وعسلٌ ملءُ الإناء، وزبدٌ مثل التمرة، وسحابٌ موضعُ كفٍّ .

"وكذلك الأصل ... أن يُقال : طابت نفسُه، وتصبب عرقُه، واشتعل شيبُ رأسى ؛ لأن الفعل فى الحقيقة وصف فى الفاعل، والسبب فى هذه الإزالة قصدهم إلى ضرب من المبالغة والتأكيد"(٥٥).

ويقول ابن يعيش فى شرح هذا النص : "اعلم أنك إذا أردت أن تُخبرأن عندك جنسا من الأجناس، وله مقدارٌ معلوم إما كيل وإما وزن وإما غيرهما من المقادير جعلت المقدار وصفا لذلك الجنس، لتوضحه وتبين كميته ؛ لأن الأوصاف توضح الموصوفين ،وتزيل إبهامها . فتقول : عندى خلٌّ راقودٌ، وثوبٌ ذراعٌ، ودراهمُ عشرون، ومن ذلك قول العرب :" أخذ بنو فلان من بنى فلان إبلاً مائةً " ... إلا أنهم قد يقدمون الوصف الذى هو المقدار لضرب من المبالغة وتأكيد العناية به ، فيقولون : عندى راقودٌ خلا، ورطلٌ عسلا،... وإذا قلت:عندى عسلٌ رطلٌ، وخلٌ راقودٌ، فقد أتيت به على الأصل...

وكذلك القول فى قولك : طاب زيدٌ نفسا، وتصبب عرقا، وتفقأ شحما، المعنى على وصف النفس بالطيب، والعرق بالتصبب، والشحم بالتفقؤ . فإذا قلت : "طاب زيد نفسا" فتقديره: طابت نفس زيد، وإذا قلت: "تصبب عرقا" فتقديره: تصبب عرقُه... "(٥٦).

وأرى أن اعتبار تمييز المفرد محولا عن تركيب إضافى أقرب من اعتباره محولا عن تركيب وصفى، وذلك على أساس أن الأصل الإضافى له أكثر استعمالا ودورانا على

الألسنة من الأصل الوصفى . وعلى سبيل المثال فقولنا : "اشتريت رطلا عسلا " يكثر أن يُقال فيه : " اشتريت رطلَ عسل " ويندر أن يقال فيه : " اشتريت عسلا رطلا " ،وعليه فهذا الأصل الوصفى يُعد – فيما أرى– بمثابة الأصل المرفوض استعماله .

وأما الاتجاه الثالث : فيذهب إلى أن التحويل فى باب التمييز ليس بلازم، حيث يقول الصبان: " التحويل فى تمييز النسبة ليس بلازم، فقد يكون غير محول، نحو : امتلأ الإناء ماءً، ولله دره فارسا، .... وأما تمييز المفرد فلا تحويل فيه أصلا"[٥٧] . والواقع أن هذه الأمثلة التى ذكرها الصبان للتمييز غير المحول تعدُّ أمثلة شاذة، والشاذ – وإن كان يخالف القاعدة – فإنه لا يُبطل القاعدة .

هذا وقد أشار ابن هشام إلى العلاقة بين تمييز النسبة والإضافة ولكن بصورة غير مباشرة ، وذلك حيث يقول: " وأما أقسام التمييز المبين لجهة النسبة فأربعة :

أحدها : أن يكون محوّلا عن الفاعل، كقول الله عز وجل:﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (مريم ١٩ /٤) أصله : (واشتعل شيب الرأس) وقوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً ﴾(النساء ٤/٤) أصله : (فإن طابت أنفسهن لكم عن شىء منه). فحُوِّل الإسناد فيهما عن المضاف – وهو الشيب فى الآية الأولى، والأنفس فى الآية الثانية –إلى المضاف إليه – وهو الرأس وضمير النسوة – فارتفعت الرأس، وجىء بدل الهاء والنون بنون النسوة، ثم جىء بذلك المضاف الذى حول عنه الإسناد فضلة وتمييزا، وأُفردت النفس بعد أن كانت مجموعة ؛لأن التمييز إنما يُطلب فيه بيان الجنس، وذلك يتأدى بالمفرد .

الثانى : أن يكون محوّلا عن المفعول، كقوله تعالى :﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾ (القمر ٥٤ / ١٢) قيل التقدير : وفجرنا عيون الأرض، كذا قيل فى (غرست الأرض شجرا) .

الثالث : أن يكون محوّلا عن غيرهما، كقوله تعالى:﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً﴾ (الكهف ١٨/ ٣٤) أصله: (مالى أكثر) فحذف المضاف وهو المال، وأقيم المضاف إليه – وهو ضمير المتكلم – مُقامه، فارتفع وانفصل، وصار: أنا أكثر منك، ثم جىء بالمحذوف

تمييزا، ومثله : زيد أحسن وجها، وعمرو أنقى عرضا، وشبه ذلك ،التقدير : وجهُ زيدٍ أحسن، وعرضُ عمرٍو أنقى .

الرابع : أن يكون غير محوّل، كقول العرب : " لله دره فارسا " و" حسبك به ناصرا... "[٥٨].

ونلاحظ هنا أن ابن هشام قد جعل تمييز النسبة على ضربين :

الأول : أن يكون محوّلا، وفيه يكون التمييز محوّلا عن الفاعل، أو عن المفعول، أو عن غيرهما .

والثانى : أن يكون غير محوّل .

وعليه فابن هشام وإن كان قد أشار – فى هذا النص – إلى العلاقة بين التمييز والإضافة، فإنه لم يربط بينهما ربطا مباشرا، حيث عدَّ التحول فى تمييز النسبة المحوَّل تحولا على مستوى الكلمة المفردة، أو على مستوى الموقع النحوى، وليس على مستوى التركيب، فجعل التمييز موقعا محولا عن موقع الفاعل أو المفعول أو غيرهما . والحق أن التحول الواقع فى باب التمييز هو تحول تركيبى، أى هو تحول على مستوى التركيب وليس على مستوى الكلمة المفردة . وذلك على أساس أن مركَّب التمييز (وهو عبارة عن الاسم المميَّز مع تمييزه) ليس إلا صورة محوَّلة عن تركيب إضافى، بصرف النظر عن نوع الموقع النحوى للاسم المضاف الذى يتحول إلى تمييز. أو بعبارة أخرى فإن مركب التمييز ليس إلا مظهرا من مظاهر فك الإضافة .

أما تلك الأمثلة التى ذكرها ابن هشام للتمييز غير المحوّل(فى القسم الرابع) [٥٩] فأرى أن الاسم المنصوب فيها منصوب على التشبيه بالتمييز، إذ لم يتحقق فيها شرط التمييز – فيما أرى – وهو أن يكون محولا عن موقع المضاف فى تركيب إضافى . وذلك قياسا على ما ذكروه فى إعراب معمول الصفة المشبهة المنصوب والمقترن بأل – مثل كلمة الوجه فى قولهم : " زيدٌ حسنٌ الوجهَ "– حيث رأوا أنه منصوب على التشبيه بالمفعول به، ولم يُجيزوا أن يكون مفعولا به ؛لأن الصفة المشبهة مشتقة من فعل لازم، والمفعول به لا يكون إلا للفعل المتعدى[٦٠] .

حول البعد الدلالى لفك الإضافة على سبيل التمييز :

تبين لنا مما سبق أن فك الإضافة على سبيل التفسير بالتمييز يكون بتحويل أحد عنصرى الإضافة إلى اسم مميز، وتحويل الآخر إلى عنصر مفسر له على أنه تمييز له، ولاحظنا أن هذا المستوى من

مستويات فك الإضافة له اتجاهان :

الأول : يكون بتحويل المضاف إلى اسم مميز، وتحويل المضاف إليه إلى تمييز له، وذلك فى حالة تمييز المفرد.

والثانى : يكون بتحويل المضاف إليه إلى اسم مميز، واقعا موقع المضاف، وتحويل المضاف إلى تمييز له، وذلك فى حالة تمييز النسبة .

ويمكن القول بأن هذين الاتجاهين يشتركان فى غرض فك أواصر التلاحم بين عنصرى الإضافة، وذلك بتحويل التركيب الإضافى من مركَّب متلاحم يقوم مقام العنصر الواحد فى الجملة إلى عنصرين منفصلين يكون أحدهما عنصرا مفسرا للآخر .

ولكن الاتجاه الأول يقتصر على غرض التفسير، أما الاتجاه الثانى فإن له بعداً دلاليا آخر يُضاف إلى غرض التفسير، ذلك أنه بإحلال المضاف إليه محل المضاف، يتم تغيير مسار الإسناد واتجاهه فى الجملة، حيث يتم تحويل الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه بدلاً من الإسناد إلى المضاف، مما يؤدى – فى بعض الأحيان – إلى إسناد الشىء إلى غير ما هو له فى الحقيقة، الأمر الذى يترتب عليه إحداث هزة فى العقل، يصحبها هزة فى النفس تؤدى إلى الانبهار والإحساس بجمال الأسلوب، وعبقرية الأداء، وذلك بسبب تلك المخالفة للمعقول والمألوف فى عالم الواقع ، والناتجة عن إسناد الشىء إلى غير ما هو له فى عالم الواقع . ثم يُذكر المضاف بعد ذلك مفسرا للمضاف إليه على أنه تمييز ليعود السياق بذلك إلى المعقول مرة أخرى .

ونحن نشعر بهذا الجمال عندما نقرأ مثل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرّسُولَ لَوْ تُسَوّىَ بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً ﴾ (النساء ٤ / ٤٢) فالأصل الإضافى الموافق للعقل هو : (ولا يكتمون حديث الله) ولكن السياق هنا أسند الفعل

(يكتمون) إلى المضاف إليه (وهو لفظ الجلالة) بدلا من الإسناد إلى المضاف (وهو الحديث)، وفى هذا مخالفة واضحة للمألوف فى عالم الواقع، الأمر الذى يترتب عليه الإحساس بالانبهار نتيجة مخالفة المعقول، ثم ذُكِر المضاف مفسرا للمضاف إليه، ليعيد المتلقِّى مرةً أخرى من عالم اللامعقول إلى عالم المعقول .

وما ذكرناه فى هذه الآية الكريمة يمكن أن يُقال فى سائر تراكيب تمييز النسبة، كقوله سبحانه : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ (مريم ١٩ /٤)، وقوله تعالى :﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾ (القمر ٥٤ / ١٢) .

ولعلنا نشعر بهذا الجمال بصورة أوضح فى تلك الآيات التى تجمع بين الصورتين معا (صورة الإضافة وصورة فك الإضافة على سبيل التفسير بالتمييز). مثلما نلاحظ فى قوله سبحانه ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة ١٣٨/٢)، فالأصل : (صبغةَ الله، وصبغةُ مَن أحسنُ من صبغة الله) و بالطبع فإن هذا الأصل الإضافى لا يُحدث هذا التأثير الجميل الذى يحدثه فك الإضافة بالتمييز. وكذلك قوله سبحانه :﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥/ ٥٠).

كذلك فإن إحلال المضاف إليه محل المضاف فى هذا النمط يؤدى إلى إحداث تحول فى اهتمام السياق، حيث يصبح المضاف إليه هو محور اهتمام السياق ؛ لأنه قد صار العنصر المرتبط بالعوامل النحوية فى الجملة .

كذلك يفيد فك الإضافة هنا نوعا من المبالغة والتأكيد، وذلك نتيجة تحول الإسناد إلى الكل بدلاً من الإسناد إلى الجزء، لأنه إذا كان الكل متصفا بصفةٍ ما فمن باب أولى أن يكون الجزء متصفا بهذه الصفة، وعلى سبيل المثال فقولنا : "أعجبنى خلقُ زيدٍ " يفيد أن الإعجاب منحصر فى صفة واحدة محددة من صفات زيد، وهى صفة الخلق، ولكن عندما يحدث فكٌّ للإضافة على سبيل التمييز ،فنقول: " أعجبنى زيدٌ خلقًا " نجد أن الإعجاب هنا قد عمَّ كلَّ زيد أولاً ،وعليه فمن باب أولى أن يمتد هذا الإعجاب إلى صفة من صفاته، وهى صفة الخلق .ومن هنا كان مركب التمييز أقوى فى تأكيد المعنى من الأصل الإضافى .

وقد أوضح ابن يعيش هذا المعنى فى قوله : " كذلك قولك: طاب زيدٌ وتصبَّب وتفقّأ، لايوصف زيد بالطيب والتصبب والتفقؤ، فعُلم بذلك أن المراد المجاز . وذلك أنه فى الحقيقة لشىء من سببه، وإنما أسند إليه مبالغة وتأكيدا .

" ومعنى المبالغة أن الفعل كان مسندا إلى جزء منه (أى من زيد) فصار مسندا إلى الجميع، وهو أبلغ فى المعنى . والتأكيد أنه لما كان الفعل يُفهم منه الإسناد إلى ما هو منتصب به ،ثم أُسند فى اللفظ إلى زيد تمكَّن المعنى ثم، لما احتمل أشياء كثيرة، وهو أن تطيب نفسه بأن تنبسط ولا تنقبض، وأن يطيب لسانه بأن يعذب كلامه، وأن يطيب قلبه بأن يصفو انجلاؤه، تبين المراد من ذلك بالنكرة التى هى فاعل فى المعنى، فقيل : "طاب زيد نفسا " وكذلك الباقى"[٦١] .

ونلاحظ غرض المبالغة والتأكيد أيضا فى حالة فك الإضافة باستعمال التمييز بعد أفعل التفضيل[٦٢] بدلاً من استعمال الأصل الإضافى لهذا التركيب . حيث يؤدى استعمال تركيب التمييز هنا إلى نقل معنى التفضيل وارتقائه من مفاضلة فى صفة واحدة محددة بين شخصين إلى مفاضلة بين الشخصين أنفسهما، مما يؤدى إلى تأكيد معنى المفاضلة، وعلى سبيل المثال فقولنا : " زيدٌ أفضلُ من عمرٍو خلقاً " يُشعر بأن شخص زيد أفضل من شخص عمرو على الإطلاق، ولكن عندما نستعمل الأصل الإضافى لهذا التركيب، وهو : (خلقُ زيدٍ أفضلُ من خلقِ عمرٍو) فإنه لا يدل إلا على مفاضلة فى صفة واحدة بينهما، وهى صفة الخُلُق . وهذا فضلا عما يحققه استعمال التمييز فى هذه الحالة من إيجاز واختصار، حيث يُغْنى استعمال تركيب التمييز هنا عن تكرار المضاف فى الأصل الإضافى .

ولعلنا نشعر بهذه المعانى عندما نقارن بين استعمال مركّب التمييز فى قوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزّ نَفَراً ﴾ (الكهف ١٨/ ٣٤) واستعمال الأصل الإضافى له، وهو : (مالى أكثر من مالك، ونفرى أعز من نفرك) .

أو عندما نقارن بين استعمال مركب التمييز فى قوله سبحانه :﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَىَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ﴾(النساء ٤ /٥١) واستعمال الأصل الإضافى له، وهو: (سبيلُ هؤلاء أهدى من سبيل الذين آمنوا)، وغير ذلك من الآيات .

المستوى التاسع :

فك الإضافة على سبيل الحالية .

وذلك بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب الحال مع صاحبه، فيتحول المضاف إليه إلى صاحب حالٍ واقعا موقع المضاف، ويتأخر المضاف منصوباً على الحال، فيكون الضمير العائد من الحال أو جملة الحال على صاحب الحال هو الرابط بين العنصرين، مثلما نلاحظ فى هذا الشكل التوضيحى :

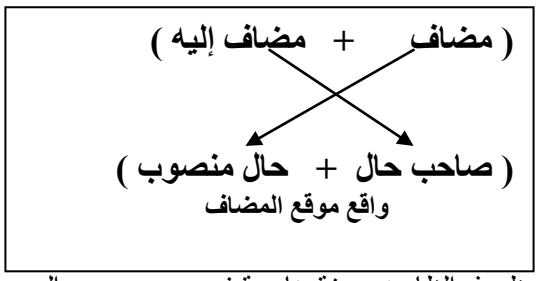

ونحن نلاحظ هذه الظاهرة بصفة خاصة فى بعض صور المصدر المضاف إلى فاعله، إذ يمكن فيها أن يتقدم المضاف إليه (الفاعل محلا) واقعا موقع المضاف، ويتأخر المضاف منصوباً على الحال . ومن ذلك على سبيل المثال ما نلاحظه فى الجمل الآتية:

– قولنا مثلاً : " أعجبنى قيامُ زيد " إذ يمكن أن يتحول هذا التركيب إلى " أعجبنى زيدٌ قائماً " أو " أعجبنى زيدٌ وهو قائم "

– وكذلك قولنا مثلا : " قيام زيدٍ خيرٌ من جلوسه " إذ يمكن أن نقول فيه " زيدٌ قائمٍ خيرٌ منه جالساً " أو نقول : " زيدٌ وهو قائم خير منه وهو جالس " .

وأهم ما يترتب على فك الإضافة هنا هو تحويل اتجاه الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه، بدلا من الإسناد إلى المضاف، وإفادة التأكيد والمبالغة فى المعنى بتعميم الحكم فى نحو (أعجبنى زيد) ثم تخصيصه بجملة الحال (وهو قائم)

المستوى العاشر :

فك الإضافة على سبيل تحويل الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه بدلا من المضاف:

وفى هذا المستوى من مستويات فك الإضافة يتم تحليل التركيب الإضافى إلى عنصريه، ليتم إحلال المضاف إليه محل المضاف، ثم يُذكر المضافُ كعنصر متعلق بالمضاف إليه داخل الجملة تعلقا دلاليا، وذلك لتحويل الإسناد فى الجملة إلى المضاف إليه بدلا من المضاف، بغرض تحويل اتجاه اهتمام السياق إلى المضاف إليه بدلا من المضاف، وذلك لتأكيد القيمة الدلالية للمضاف إليه والتنبيه على أهميته وخطورته، ويمكننا توضيح ذلك فى هذا الرسم التوضيحى :

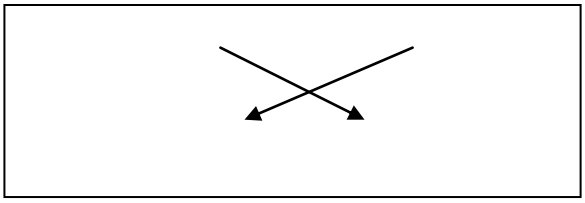

ومن أبرز أمثلة هذا المستوى ما يأتى :

١ – تركيب (أمر الله) فى مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىَ أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(النحل ١٦/ ١)، حيث يعتريه أحيانا فك للإضافة من هذا المستوى، مثلما نلاحظ فى قوله سبحانه : ﴿ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّىَ يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (البقرة ٢/ ١٠٩) ، فالأصل (حتى يأتى أمر الله) ثم حدث تحليل لهذا التركيب الإضافى إلى عنصريه : المضاف والمضاف إليه، وتم إحلال المضاف إليه (وهو لفظ الجلالة) محل المضاف، ثم ذُكر المضاف كعنصر متعلق بالمضاف إليه بحرف الجر(الباء) .

٢ – قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مّنَ الْعِلْمِ ﴾ (النجم ٥٣ / ٣٠). حيث إن تركيب (مبلغهم من العلم) يمكن اعتباره محَّولاً عن تركيب إضافى أصلى، وهو : (مبلغ علمهم) . إذ يقول الفراء فى تفسير هذا التركيب :" صغَّر بهم، يقول : ذلك قدر عقولهم، ومبلغ

علمهم، حين آثروا الدنيا على الآخرة "[٦٣]. كما أننا نقول فى الدعاء المأثور: " اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا " . وعليه فقد تم هنا تحليل للتركيب الإضافى (علمهم) إلى عنصريه ،وتم إحلال المضاف إليه – وهو الضمير(هم) – محل المضاف، ثم ذُكِر المضاف – وهو العلم – كعنصر متعلّق بالعنصر الأول بحر الجر (من) .

٣- قوله تعالى : ﴿ كُنّا طَرَآئِقَ قِدَداً ﴾ (الجن ٧٢ / ١١)، حيث يمكن اعتباره محولاً عن تركيب إضافى أصلى وهو : (كانت طرائقُنا قددًا) [٦٤] وحدث فيه ما حدث فى التركيبين السابقين .

٤- تركيب (يبغونكم الفتنة) فى قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مّا زَادُوكُمْ إِلاّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٩ / ٤٧) فالأصل فى هذا التركيب : (يبغون فتنتكم)، ومما يدل على أن (الفتنة) هى المفعول الحقيقى للفعل (يبغون) قوله تعالى فى الآية التالية : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلّبُواْ لَكَ الأُمُورَ ﴾ (التوبة ٩ / ٤٨) . كما يقول الزمخشرى فى تفسير هذا التركيب : " يحاولون أن يفتنوكم "[٦٥]. كما يقول الفراء فى تفسيره : " يبغونها لكم"[٦٦]. وعليه فقد حدث هنا فك للإضافة فى تركيب (فتنتكم)، وتم إحلال المضاف إليه محل المضاف، ثم ذُكِر المضاف كعنصر متعلق بالعنصر الأول . ووجه التعلق هنا أن العنصرين معمولان لفعل واحد .

٥- تركيب (وراءكم ظهريا) فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِيَ أَعَزّ عَلَيْكُم مّنَ اللّهِ وَاتّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً ﴾(هود ١١/ ٩٢) فالأصل فيه (وراء ظهوركم) مثلما نلاحظ فى قوله سبحانه : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ (آل عمران ٣ /١٨٧) وقوله سبحانه :﴿وَتَرَكْتُمْ مّا خَوّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام ٦ / ٩٤) كما يقول الشوكانى فى تفسير هذا التركيب:" (وراء كم ظهريا) أى منبوذا وراء الظهر، لاتبالون به ... وقيل: المعنى اتخذتم أمر الله وراء ظهوركم، يُقال: جعلت أمره بظهرٍ إذا قصرت فيه"[٦٧].

أى أن تركيب (وراء ظهوركم) قد حدث فيه إحلال للمضاف إليه الثانى (وهوكاف الضمير) محل المضاف إليه الأول، ثم ذُكر المضاف إليه الأول على أنه مفعول ثانٍ للفعل (اتخذ) .

٦ . تركيب : (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) من قوله سبحانه :﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (النساء٤ / ١٧٥) . إذ يمكن اعتبار هذا التركيب محولا عن تركيب إضافى هو: (ويهديهم إلى صراطه المستقيم)، ثم انتقل الضمير المضاف إليه فى (صراطه) إلى موقع المضاف (صراط)، فاتصل بحرف الجر (إلى)، وتأخر المضاف (صراط) منصوبا على أنه مفعول ثان للفعل (يهدى) .

المستوى الحادى عشر :

فك الإضافة على سبيل التأكيد، بتقديم المضاف إليه على المضاف دون أن يحل محله، وتأخير المضاف متصلاً بضمير يعود على الأول .

وفى هذا المستوى من مستويات فك الإضافة يتم تقديم المضاف إليه مجرورا باللام – دون أن يقع موقع المضاف – ثم يُذكر المضاف متصلاً بضمير يعود على المضاف إليه، فيكون هذا الضمير هو الرابط بين العنصرين، وذلك مثلما نلاحظ فى هذا الشكل التوضيحى :

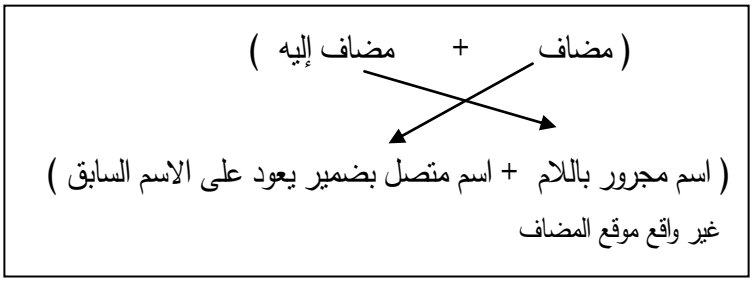

ومن أظهر أمثلة هذا المستوى من مستويات فك الإضافة قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ (الأنبياء ٢١ /١) فهنا فك للإضافة من هذا المستوى من مستويات فك الإضافة، فالأصل فيه : (اقترب حسابُ الناس) ، وتقدم المضاف إليه (وهو الناس) مجرورا باللام ، ثم ذُكر المضاف (وهو الحساب) مضافا إلى ضمير المضاف إليه . وإلى هذا ذهب الزمخشرى، حيث يقول فى تفسير هذه الآية : " هذه اللام – فى (للناس) – لا تخلو من أن تكون صلة لاقتربَ، أو تأكيدا لإضافة الحساب إليهم، كقولك : "أزف للحى رحيلُهم"، الأصل : أزف رحيلُ الحى، ثم : أزف للحى الرحيلُ ، ثم : أزف للحى رحيلُهم .

" ونحوه ما أورده سيبويه فى باب (مايُثنى فيه المستقر توكيدا) : عليك زيدٌ حريصٌ عليك، وفيك زيد راغبٌ فيك، ومنه قولهم : " لا أبا لك " ؛ لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة"[٦٨] .

ولكن أبا حيان قد رفض أن تكون اللام تأكيدا لإضافة الحساب إليهم، حيث قال : " وأما جعله اللام تأكيدا لإضافة الحساب إليهم، مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر، فلا نعلم أحدا يقول ذلك، وأيضا فيحتاج إلى ما يتعلق به، ولا يمكن تعلقها بحسابهم، وأيضا فلو أخر فى هذا التركيب لم يصح . وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح ؛ لأن عليك معمول لحريص، وعليك الثانية متأخرة توكيدا . وكذلك (فيك زيد راغب فيك) ...وإنما غره فى ذلك صحة تركيب (حساب الناس) "[٦٩] .

وبصرف النظر عن هذا الخلاف الواقع بين أبى حيان والزمخشرى فإن الأمر الذى لاشك فيه هو أن تركيب (اقترب للناس حسابهم) يمكن اعتباره محولا عن تركيب إضافى أصلى، وهو : (اقترب حسابُ الناسِ)، وأن هذا التحول يهدف – فيما أرى – إلى تأكيد القيمة الدلالية للمضاف إليه، والتنبيه على خطورة قدره، وعظم شأنه، وذلك من جهتين :

الأولى : تقديم المضاف إليه على المضاف متكئا على اللام، فهذه اللام جىء بها كوسيلة للتوصل إلى تقديم المضاف إليه على المضاف ؛ لتأكيد أهميته، فهذه اللام – فيما أرى – مثل اللام فى قوله سبحانه : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ﴾ (طه ٢٠/ ٢٥ – ٢٦) ومثل اللام فى قوله تعالى :﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ *وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ *الَّذِيَ أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح ٩٤ / ١– ٤) .

والثانيـة : تكرار المضاف إليه بإضافة ضميره إلى المضاف، ففى هذه الإضافة تأكيد آخر للقيمة الدلالية للمضاف إليه، مثلما نلاحظ فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة ٢ / ٢٧٤) بدلا من : (فلهم أجرٌ عند الله)، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ (مريم ١٩ / ٦٢) بدلا من : (ولهم رزقٌ فيها) .

المستوى الثانى عشر :

فك الإضافة على سبيل التعجب:

وفى هذا المستوى يتم فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافى إلى تركيب ذى صياغة خاصة للدلالة على معنى التعجب .

فمن المعلوم أن ثمة صيغتين تركيبيتين قياسيتين للتعجب فى العربية وهما :

١- صيغة أَفْعِلْ به ! ٢- صيغة ما أَفْعَلَهُ !

ويمكن القول بأن كل صيغة من هاتين الصيغتين تعبِّر فى حقيقة مضمونها عن تركيب إضافى، يتمثل فى إضافة مصدر فعل التعجب إلى المتعجَّب منه، أى بإضافة المصدر إلى فاعله .

وعلى سبيل المثال فنحن عندما نتعجب مثلا من (جمال السماء) نقول : " أجمِلْ بالسماء ! "، أو نقول : " ما أجملَ السماءَ ! " .

ومن ثم فكل جملة من هاتين الجملتين تعبر فى الحقيقة عن تركيب إضافى بإضافة مصدر فعل التعجب إلى فاعله، وهو تركيب (جمال السماء) .

ولعل ما يؤكد لنا ذلك هو استعمال هذا التركيب الإضافى فى حالة النداء التعجبى حيث نقول فى التركيب السابق نفسه : " يا لَجمالِ السماء ! " .

ولكن الغريب والعجيب فى هذه الحالة أنه مع أن الأصل واحد لكل من الصيغتين السابقتين، فإننا نجد الفاعل فى الأصل الإضافى قد بقى على فاعليته فى صيغة (أفعِلْ به)، ولكنه قد تحول إلى موقع المفعول به فى صيغة ما أفعله .

وليست هذه هى الحالة الوحيدة أو الفريدة التى يتحول فيها الفاعل فى المعنى إلى مفعول به فى اللفظ والإعراب، فثمة حالة قريبة من ذلك، وذلك فى إحدى صور الصفة المشبهة المضافة إلى فاعلها، مثل قولنا : " زيدٌ حسنُ الوجهِ " إذ يمكن أن نقول فيه : " زيدٌ حسنٌ وجهُهُ " برفع الوجه على أنه فاعل للصفة المشبهة وهذا هو الأصل فى المعنى، كما يمكن أن نقول فيه : " زيدٌ حسنٌ الوجهَ " بنصب الوجه على التشبيه بالمفعول به، حيث لايجوز أن يكون تمييزا لأن التمييز لا يكون إلا نكرة، كما لا يجوز أن يكون مفعولا به لأن الصفة المشبهة فعلها لازم ولا يتعدى إلى المفعول به .

خاتمة ونتائج وتوصيات

يمكننا فى ختام هذا البحث أن نوجز أهم النتائج التى خرجنا بها منه فيما يأتى :

أولاً : إن ثمة فرقا مهما بين مصطلحات ثلاثة تتعلق بالإضافة وهى مصطلحات:

قطع الإضافة، وإزالة الإضافة، وفك الإضافة .

أما قطع الإضافة فإنه لا يكون إلا بحذف المضاف إليه .

وأما إزالة الإضافة فيكون بإلغاء الإضافة وإلغاء جميع أوجه الترابط الدلالى بين عنصرى الإضافة، فيتحول التركيب الإضافى إلى عنصرين منفصلين لا رابط بينهما، أو يتحول إلى كلمة واحدة .

وأما فك الإضافة فيكون بتفكيك التركيب الإضافى، وتحليله إلى عنصرين مستقلين، لكل واحد منهما موقعه من الإعراب، مع بقاء وجود نظام للربط الدلالى بين العنصرين، فيتحول التركيب الإضافى بذلك إلى شكل تركيبى آخر إضافى أو غير إضافى، ودون أن يحدث حذف لأى عنصر منهما

وفك الإضافة وإن كان يقضى على علاقة الإضافة، ويؤدى إلى فك أواصر التلاحم بين عنصريها من ناحية، فإنه من ناحية أخرى يؤدى إلى خلق أنماط أخرى للترابط التركيبى والدلالى بين العنصرين وفقا لمقتضيات السياق .

ثانياً : ذهب الباحث إلى أن فك الإضافة تتباين صوره وأشكاله فى العربية، وأنه يتدرج . من حيث الإبقاء على قوة الترابط بين عنصريها . فى مستويات، وهى على النحو الآتى :

الأول : أن يتم فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافي إلى جملة مستقلة واحدة، اسمية أو فعلية، فتكون علاقة الإسناد هي الرابط بين العنصرين .

والثانى : أن يتم فك الإضافة بإمكان تحويل التركيب الإضافي إلى جملتين، إحداهما اسمية والأخرى فعلية، وذلك في حالة فك إضافة الصفة المشبهة المضافة إلى فاعلها، فتكون علاقة الإسناد هي الرابط بين العنصرين في كل جملة .

والثالث : أن يتم فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافي إلى مايشبه الجملة، بأن يتحول المضاف إلى عنصر عامل، ويتحول المضاف إليه إلى معمول له، فتكون علاقة الإعمال النحوي هي الرابط بينهما .

والرابع : أن يتم فك الإضافة بتحويل التركيب الإضافي إلى مبتدأين مترابطين بالضمير في جملة كبرى، فيكون هذا الضمير هو الرابط بينهما .

والخامس : أن يتم فك الإضافة بالتبادل الموقعي، وذلك بإحلال المضاف في موقع المضاف إليه، وإحلال المضاف إليه في موقع المضاف، فيتحول التركيب الإضافي إلى تركيب إضافي آخر، وتبقى علاقة الإضافة هي الرابط بينهما .

والسادس : أن يتم فك الإضافة باستعمال حرف الجر بين عنصريها، فيكون هذا الحرف هو الرابط بينهما .

والسابع : أن يتم فك الإضافة على سبيل التبعية، بتحويل التركيب الإضافي إلى تركيب من تراكيب التوابع (النعت والتوكيد والعطف والبدل)، بأن يتحول أحد العنصرين إلى عنصر متبوع، ويتحول الآخر إلى تابع له، فتكون علاقة التبعية هي الرابط بينهما .

والثامن : أن يتم فك الإضافة على سبيل التفسير بالتمييز، بأن يتحول أحد عنصريها إلى اسم مميَّز، ويتحول الآخر إلى تمييز له، فتكون علاقة التفسير هي الرابط بينهما .

والتاسع : أن يتم فك الإضافة على سبيل الحالية .

والعاشر : أن يتم فك الإضافة بإحلال المضاف إليه محل المضاف، لتحويل الإسناد في الجملة إلى المضاف إليه بدلا من الإسناد للمضاف، مع بقاء التعلق الدلالي بين العنصرين .

والحادى عشر : أن يتم فك الإضافة على سبيل التأكيد بتقديم المضاف إليه على المضاف، دون أن يحل محله، وتأخير المضاف متصلا بضمير يعود على الأول .

والثانى عشر : أن يتم فك الإضافة على سبيل التعجب القياسى .

بناء على هذا يمكن القول بأن فك الإضافة في اللغة العربية يتخذ مسالك متعددة وطرائق متنوعة، وفي كل طريقة منها يبقى نظام للربط الدلالي بين العنصرين .

كما يمكن القول بأن الإضافة يمكن أن تتحول إلى معظم أبواب النحو العربي، إذ يمكن أن يتحول التركيب الإضافي إلى جملتين اسمية وفعلية، ويمكن أن يتحول إلى جملة مستقلة واحدة اسمية أو فعلية، ويمكن أن يتحول إلى ما يشبه الجملة الفعلية، ويمكن أن يتحول إلى مبتدأين في جملة كبرى . كما يمكن أن يتحول إلى تركيب إضافي آخر، ويمكن أن يتحول إلى تركيب الجار والمجرور، ويمكن أن يتحول إلى تركيب من تراكيب التوابع، فيتحول إلى تركيب وصفي أو تركيب التوكيد المعنوي أو تركيب البدل، أو تركيب عطف النسق، كما يمكن أن يتحول إلى تركيب التمييز، كما يمكن أن يتحول إلى تركيب(الحال مع صاحب الحال)، بل يمكن أن يتحول إلى تراكيب أخرى متنوعة .

وهكذا نجد بعض الأبواب النحوية . في كثير من صورها . ليست إلا أثرا من آثار فك الإضافة في اللغة العربية .

ثالثاً : على الرغم من شيوع هذه الظاهرة ظاهرة فك الإضافة شيوعاً واضحاً لا ريب فيه فى أساليب العربية بجميع مستوياتها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر، فإنها لم تنل حقها من البحث والدراسة كظاهرة مرتبطة بمعظم أبواب النحو، ومؤثرة فيها تأثيرا مباشرا، فالنحاة القدماء . وإن كانوا قد أشاروا فى بعض الأبواب النحوية إلى الصلة بينها وبين الإضافة . فإنهم لم يجعلوا منها ظاهرة عامة مؤثرة فى جميع الأبواب النحوية . والسبب فى ذلك . فيما أرى . يرجع إلى أنهم قد نظروا إلى الإضافة على أنها مجرد باب مستقل من أبواب النحو، وليس على أنها وجه آخر للعربية.

رابعاً : أن ارتباط هذه الظاهرة بمعظم أبواب النحو يؤكد لنا أن الإضافة ليست مجرد باب مستقل من أبواب النحو بل هى وجه آخر لتراكيب العربية .وعليه فإننى أرى أنه يجب أن يُعاد النظر فى تلك الفكرة الساذجة عن الإضافة، والتى تنظر إلى الإضافة على أنها نوعان اثنان فقط : فإما أن تكون حقيقية (أو محضة) فتكون بمعنى اللام أومن أو فى، وإما أن تكون لفظية (أو غير محضة) فتفيد التخفيف ورفع القبح، وذلك بحذف التنوين ونون التثنية ونون الجمع من الاسم المضاف . وأرى أن قناعة الباحثين قديما وحديثا بهذه الفكرة عن الإضافة هى التى أدت إلى إحجام الكثيرين عن الغوص فى بحر الإضافة لاقتحام آفاقه واكتشاف أعماقه وسبر أغواره .

كما أرى أن الإضافة جديرة بأن يُخصص لها فرع مستقل من النحو العربى، يمكن أن نطلق عليه النحو الإضافى، ويكون موضوعه أو مجاله دراسة أنماط التبادل التركيبى بين الإضافة وأبواب النحو المختلفة، وما ينتج عن ذلك من علاقات تركيبية وعلاقات دلالية،ومحاولة استكشاف تلك القواعد الكلية التى تحكم هذه التحولات التركيبية بين الإضافة وأبواب النحو، وما يتفرع عنها من ظواهر لغوية وأنماط تركيبية .

الهوامش

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٨٥ . ٨٦ .

(٢) تنظر هذه الحالات الأربع فى : التعريف والتنكير فى النحو العربى للدكتور أحمد عفيفى ١٩٣ . ١٩٧ ، وينظر أيضا: شرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٨٥ . ٨٧ .

(٣) وهذا تقدير ابن هشام فى (شرح شذور الذهب ١٠٣) وقدره ابن يعيش : "من قبل كل شىء ومن بعد كل شىء " (شرح ابن يعيش ٤/ ٨٦)وقد رجَّح الدكتور أحمد عفيفى تقدير ابن هشام على أساس أنه هو المناسب للمعنى السياقى للآية الكريمة . التعريف والتنكير فى النحو العربى ١٩٧ .

(٤) شرح شذور الذهب ٧٤ . ٧٥، والبيت من الكامل وهو لعبيد بن الأبرص الأسدى .

(٥) وهى قراءة ابن عباس والحسن والضحاك ومحمد بن على، وجعفر بن محمد، وعمرو بن فائد، ويعقوب .

ينظر : المحتسب ١ /٣٦٣ .

(٦) تفسير الكشاف ٢ / ٥٣٥- ٥٣٦ . وقد ذكر الشوكانى أيضا هذين الوجهين، ينظر : فتح القدير ٣/ ١٣٧ .

ولم يذكر ابن جنى والعكبرى إلا الوجه الثانى فقط ، ينظر : المحتسب ١/ ٣٦٣ والإملاء ٢/ ٦٩ .

(٧) المحتسب لابن جنى ١/ ٢٢١ .

(٨) البحر المحيط ٦ / ٣٥ .

(٩) من المعلوم أن ثمة فرقا مهما بين الإسناد الواقع فى الجملة العربية . بإسناد الخبر إلى المبتدأ أو بإسناد الفعل إلى الفاعل، والإسناد الواقع فى التركيب الإضافى بإسناد المضاف إلى المضاف إليه، فالأول يُسمى نسبة أساسية أو نسبة كلية، وهى الربط المعنوى بين طرفى الجملة ربطا يقتضى أن يقع أحدهما على معنى الآخر أو يُنفى عنه . والثانى يُسمى نسبة جزئية أوفرعية أو تقييدية، ويريدون بها النسبة التى جاءت لإفادة التقييد، أى لإفادة نوع من الحصر والتحديد، ذلك أن اللفظ قبل مجيئها كان عاما مطلقا ،يحتمل أنواعا وأفرادا كثيرة، فجاءت التكملة (أى القيد) فمنعت التعميم والإطلاق الشاملين ،وجعلت المراد محددا محصورا فى مجال أضيق من الأول ،ولذلك عرفوا الإضافة بأنها : نسبة تقييدية بين اسمين، تقتضى أن يكون ثانيهما مجرورا دائما . ينظر فى تفصيل ذلك : النحو الوافى ٣ / ١ - ٢ (الهامش) .

(١٠) وهى قراءة نافع ، ينظر : البحر المحيط ٦ /٣٩٩ و الإتحاف ٤٠٩ ومعانى القراءات ٣٣١ .

(١١) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو والكسائى، ينظر : الإتحاف ٥٨٥ ومعانى القراءات ٥٤٦ والبحر المحيط ٨/ ٤٧١، وفتح القدير ٥ / ٥٦٢ .

(١٢) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر والحضرمى، ينظر : الإتحاف ٤٤٩ ومعانى القراءات ٣٨٠ .

(١٣) وهى قراءة حمزة، ينظر : الإتحاف ٤٣١ ومعانى القراءات ٣٦٢ والبحر المحيط ٧/ ٩١ .

(١٤) وهى قراءة محمد بن السميْفَع . ينظر : المحتسب لابن جنى ١ / ١٨٥ .

(١٥) ينظر : التحول التركيبى بين الجملة العربية والإضافة للباحث .

(١٦) شرح الرضى للكافية ١ / ٢٣٠ .

(١٧) فى الأصل المحقق (إذا) وهذا لا يناسب السياق .

(١٨) في الأصل المحقق (مررت برجل حسنِ الوجه) وما أثبته هو المناسب للسياق .

(١٩) المقتصد في شرح الإيضاح ١ / ٥٤٦ . ٥٤٧ .

(٢٠) قرأ ابن كثير وحفص وحمزة والكسائى بالإضافة ،وقرأ الباقون بتنوين اسم الفاعل ونصب (نورَه) مفعول به.ينظر : معانى القراءات ٤٨٩ والإتحاف ٥٤١ والنشر ٢ / ٣٨٧، والبحر المحيط ٨ / ٢٦٠ .

(٢١) قرأ حفص بالإضافة، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بتنوين اسم الفاعل وتشديد الهاء (موهِّنٌ) ، ونصب (كيدَ)، وقرأ الباقون بتنوين اسم الفاعل (موهنٌ) ونصب (كيدَ) . ينظر : معانى القراءات ١٩٩ والإتحاف ٢٩٧ والنشر ٢ / ٢٧٦ والتيسير ٩٤ والحجة لابن خالويه ١٧٠ .

(٢٢) قرأ حفص بالإضافة، و قرأ الجمهور (بالغٌ) بالتنوين، و(أمره) بالنصب . ينظر : البحر المحيط ٨/ ٢٧٩والإتحاف ٥٤٦ وفتح القدير ٥ / ٢٩٨ والنشر ٢ / ٣٨٨ والتيسير ١٧٢ والحجة لابن خالويه ٣٤٧ .

(٢٣) قرأ يعقوب وأبو عمرو والكسائى بالتنوين والنصب، وقرأ الباقون بالإضافة . معانى القراءات ٤٢٢ . ٤٢٣ والإتحاف ٤٨١ .

(٢٤) فتح القدير ٥ / ٤٧٦، وينظر أيضا : النشر ٢ / ٣٩٨ والإتحاف ٥٧١ .

(٢٥) قرأ أبو عمرو بتنوين (قلبٍ) أى : (على كل قلبٍ متكبرٍ) وقرأ باقى القراء العشرة بالجر من غير تنوين، أى (على كل قلبِ متكبر) . ينظر : النشر ٢ / ٣٦٥، وتفسير الكشاف ٤ / ١٦٢ . ١٦٣ .

(٢٦) معانى القرآن ٣ / ٨ . ٩ . وينظر : البحر المحيط ٧ / ٣٧٨ .

(٢٧) ينظر : فتح القدير ٥ / ١٩٢

(٢٨) ينظر : فتح القدير ٥/ ٩٣ وينظر كذلك : المحتسب لابن جنى ٢ / ٢٨٣ . ٢٨٤ ومعانى القرآن للفراء ٣ / ٧٨ .

(٢٩) ينظر : النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢ / ٣٨٧ .

(٣٠) ينظر فى هذه اللام : مغنى اللبيب ١/ ٢١٧ .

(٣١) ينظر : معانى القرآن للفراء ٣ / ٢٠ والبحر المحيط ٧ /٤٨٢ .

(٣٢) ينظر فى تفصيل ذلك : أنماط التحول فى التركيب الوصفى ٤٧ .

(٣٣) ينظر : أنماط التحول فى التركيب الوصفى ٤٦ – ٤٨ .

(٣٤) يقول أبو منصور الأزهرى : " قرأ الحضرمى وحده : (فأولئك لهم جزاءٌ الضعفُ) بالتنوين والرفع، وقرأ الباقون : (فأولئك لهم جزاءُ الضعفِ) مضافا . قال أبو منصور : "من قرأ (فأولئك لهم جزاءٌ) بالتنوين والرفع، والضعفُ مرفوعا، فكأن المعنى : فأولئك لهم الضعفُ، على أن الضعف بدل من قوله (جزاءٌ)، كأن قائلاً قال : ما هو ؟ فقال: الضعف. ومن قرأ : (فأولئك لهم جزاءُ الضعفِ) مضافا فمعنى جزاء الضعف هاهنا: الحسنة بعشر أمثالها، يضاعف لهم الحسنات . وكذلك معنى الضعف فى القول الأول ". ينظر : معانى القراءات ٣٩٤ وينظر أيضا : النشر ٣٥١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ٤٦٠ .

(٣٥) ورد هذا التركيب الإضافى (جنات النعيم) فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع، وهى فى : (المائدة ٦٥/٥) و(يونس ١٠/ ٩) و(الحج ٥٦/٢٢) و(لقمان ٨/٣١) و(الصافات ٤٣/٣٧) و(الواقعة ١٢/٥٦) و (القلم ٦٨ /٣٤) .

(٣٦) تجدر الإشارة إلى أن الإضافة فى هذا التركيب (تحية السلام) هى – فيما أرى – من الإضافة الخبرية التى يتم فيها إضافة الخبر إلى المبتدأ، إذ يمكننا أن نقول فيه : " السلام تحية "، مثل تراكيب : آية الليل، وآية النهار وغيرهما . راجع الحديث عن الإضافة الخبرية فى بحث : التحول التركيبى بين الجملة العربية والإضافة.

(٣٧) ينظر : الكشاف ٣ / ٢٨٨ – ٢٨٩ .

(٣٨) تفسير الكشاف ٢٧٨/٤ .

(٣٩) البحر المحيط ٨ / ٤٤ .

(٤٠) البحر المحيط ٨ /١٤٨ .

(٤١) كتاب سيبويه ٧٦/١ فى باب (ترك أن يكون للأول خبر حين استغنى بالآخر، لعلم المخاطب أن الأول قد دخل فى ذلك).

(٤٢) المقتضب ٧٣/٤ . وقد ذهب بعضهم إلى أن مذهب المبرد أقيس ؛ " لأنك إذا جعلت (قائما) خبرا عن الأول – فى نحو (زيدٌ وعمرٌو قائمٌ)– وحذفت خبر الثانى كنت قد حذفت ما فى الكلام عليه دليل ثابت قد استقر ،وليس كذلك حذف خبر الأول ؛ لأنك قد حذفت من قبل أن يتقدم الدليل " ينظر : شرح عيون الإعراب للمجاشعى ٢٥٠ .

والواقع أن تركيب العطف فى هذا المثال يختلف تماما عن تركيب العطف فى الآية الكريمة، حيث إن العطف هنا غير محول عن تركيب إضافى، ولكنه فى الآية الكريمة محول عن تركيب إضافى .

(٤٣) معانى القرآن ٤٤٥/١ .

(٤٤) من المعلوم أن التمييز مفسر للاسم المميز ،حيث يقول ابن عقيل فباب التمييز : "ويسمى مفسّرا، وتفسيرا، ومبينا، وتبيينا، ومميزا، وتمييزا " (شرح ابن عقيل ٢٩٥) . وممن أطلق عليه (التبيين) المبرد فى ا لمقتضب (٧٢/٣) وممن أطلق عليه (التفسير) ابن الحاجب فى الإيضاح (٣٥٠/١) وممن أطلق عليه (المفسر) ابن السراج فى الأصول (١/ ٢٢٥) والفراء فى معانى القرآن (٢٢٥/١) .

(٤٥) شرح ابن عقيل ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٤٦) شرح شذور الذهب ٢٥٦ وقد أضاف الزمخشرى وابن يعيش إلى تمييز المفرد مثل تراكيب : ويحه رجلا ، ولله دره فارسا، وحسبك به ناصرا . شرح المفصل ٢ /٧٢ – ٧٣ .

(٤٧) إملاء ما من به الرحمن ٢ /٥٢ .

(٤٨) البحر المحيط ٦ / ٣٥.

(٤٩) ولذلك فإنى أميل إلى ترجيح الوجه الأول فى إعراب (عددا) فيما يذكره الشوكانى فى إعرابها ، حيث يقول :

" وعددًا يجوز أن يكون منتصبا على التمييز ،محولا عن المفعول به، أى : وأحصى عدد كل شىء، كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا** ﴾ . ويجوز أن يكون منصوبا على المصدرية، أو فى موضع الحال:معدودا" (فتح القدير ٥ /٣٨٨) .

(٥٠) " دينا:منتصب على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا " فتح القدير ٢ /١٥. وأجاز العكبرى أن يكون حالا، حيث يقول : "(ورضيت) يتعدى إلى مفعول واحد وهو هنا الإسلام، و(دينا) حال، وقد يتعدى إلى مفعولين ؛ لأن معنى رضيت هنا : جعلت وصيرت " (الإملاء ١/ ٢٠٧) .

(٥١) ولذلك فإننى أرجح الوجه الثالث من تلك الأوجه الثلاثة التى يذكرها الشوكانى فى إعراب كلمة (علما) حيث يقول : " وانتصاب (علما) على المصدرية ؛ لأن أحاط بمعنى علِم ،أوهو صفة لمصدرٍ محذوف : أى أحاط إحاطة علماً، ويجوز ان يكون تمييزا " (فتح القدير ٥ /٣٠٧) .

(٥٢) الإملاء ٢ / ١٠٥

(٥٣) التبصرة والتذكرة ١ /٣١٦

(٥٤) شرح الأشمونى مع حاشية الصبان ١٩٤/٢ – ١٩٦

(٥٥) شرح المفصل لابن يعيش ٢ /٧٤

(٥٦) شرح المفصل ٢ /٧٤ – ٧٥

(٥٧) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢ / ١٩٥

(٥٨) شرح شذور الذهب ٢٥٧

(٥٩) تجدر الإشارة إلى أن النحاة القدماء قد تباينت مواقفهم تجاه أمثلة هذا القسم، فقد عدها ابن هشام هنا من تمييز النسبة، على حين عدها ابن يعيش من تمييز المفرد (ينظر : شرح المفصل ٢ / ٧٢ – ٧٣)، وعدها آخرون من أشباه المقادير (ينظر: شرح عيون الإعراب للمجاشعى ١٤٩ – ١٥٠) .

(٦٠) شرح شذور الذهب ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٦١) شرح المفصل ٢ / ٧٥ .

(٦٢) تجدر الإشارة إلى أن بعض النحاة القدماء قد عدَّ التمييز فى هذه الحالة محولا عن الفاعل، وعلى سبيل المثال فقولنا : " أنت أعلى منزلا " أصله عندهم : (علا منزلُك)، وقولنا: "أنت أحسنُ وجها "أصله : (حسُن وجهُك)، وقوله تعالى :(أنا أكثر منك مالا) أصله عندهم : (كثُر مالى) . والواقع أن هذا التقدير يبطل معنى التفضيل المستفاد من صيغة التفضيل، ولذلك فإننى أتفق مع ابن هشام فيما ذهب إليه من أن التمييز هنا محوَّل عن مبتدأ مضاف، وقد أشار الصبان إلى ذلك حيث يقول : " وقال السيوطى فى نكتة نقلا عن ابن هشام : التحقيق أن التمييز فى هذا النوع محول عن مبتدأ مضاف، وأصل (أنت أحسن وجها): (وجهك أحسن)، فجعل المضاف تمييزا، والمضاف إليه مبتدأ، فانفصل وارتفع . ولا يريد المصنف (ابن مالك) بقوله :" الفاعل المعنى " أن هذا النوع محول عن الفاعل كما فهم بعضهم ؛ لأنك إذا قلت : " حسُن وجهُك " لم يُستفد التفضيل، فكيف يكون (أنت أحسن وجها) محولا عن (حسُن وجهُك) وإنما يريد أن هذا التمييز هو المنسوب إليه ذلك المعنى " . (حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢/ ١٩٨) .

(٦٣) معانى القرآن للفراء ٣ / ١٠٠ .

(٦٤) وهذا قول للزمخشرى، حيث يقول : " أى كنا ذوى مذاهب مفترقة مختلفة . أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، أو كنا فى طرائق مختلفة، أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه، والقِدة من قدَّ، كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق " الكشاف ٤ / ٦١٤ – ٦١٥ و ينظر أيضًا البحر المحيط ٨ / ٣٤٣ .

(٦٥) الكشاف ٢/ ٢٦٨ .

(٦٦) معانى القرآن ١/ ٤٤٠ .

(٦٧) فتح القدير ٢/٦٤٤ .

(٦٨) الكشاف ٣/ ٩٨ .

(٦٩) البحر المحيط ٦ / ٢٧٤ .

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبناء – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠١م .

٢- الأصول فى النحو لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٥م .

٣- إملاء ما منَّ به الرحمن لأبى البقاء العكبرى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٧٩م .

٤- أنماط التحول فى التركيب الوصفى بين النحو والدلالة– د. مفرح سعفان، بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٢م .

٥- الإيضاح فى شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق موسى بناى العليلى – بغداد ١٩٨٢م .
٦- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٧- التبصرة والتذكرة للصيمرى، تحقيق : د . فتحى أحمد مصطفى على الدين، دار الفكر بدمشق – نشر مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى – الطبعة الأولى ١٩٨٢م .
٨- التحول التركيبى بين الجملة العربية والإضافة – د. مفرح السيد سعفان – بحث منشور بمجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية .
٩- التعريف والتنكير فى النحو العربى، للدكتور أحمد عفيفى– القاهرة– ١٩٩٩ م .
١٠- تفسير الكشاف للزمخشرى – بيروت – لبنان – ١٩٩٦ م .
١١- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى، عُنى بتصحيحه أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩٦م .
١٢- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بلا تاريخ.
١٣- الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السادسة ١٩٩٦م .
١٤- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق د. حسين نصار – القاهرة ١٩٥٧ م .
١٥- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بلا تاريخ .
١٦- شرح الرضى لكافية ابن الحاجب – تحقيق د . حسن محمد إبراهيم الحفظى – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمى – الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .

١٧- شرح شذور الذهب لابن هشام، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة – بلا تاريخ .
١٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق د. رمزى منير بعلبكى – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
١٩- شرح عيون الإعراب لأبى الحسن المجاشعى، تحقيق د. عبد الفتاح سليم – القاهرة .
٢٠- شرح المفصل لابن يعيش – مكتبة المتنبى – القاهرة بلا تاريخ .
٢١- فتح القدير للشوكانى – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
٢٢- الكتاب لسيبويه – بولاق – القاهرة .
٢٣- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون .
٢٤- المحتسب لابن جنى، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٩٩م .
٢٥- معانى القرآن للفراء – تحقيق محمد على النجار وآخرين – دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .
٢٦- معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى، تحقيق أحمد فريد المزيدى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م .
٢٧- المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق د . كاظم بحر المرجان – دار الرشيد للنشر – بغداد ١٩٨٢م .
٢٨- المقتضب للمبرد، تحقيق : الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة ١٩٦٣م (طبعة مطورة) عالم الكتب ببيروت .
٢٩- النحو الوافى للأستاذ عباس حسن – دار المعارف – القاهرة –١٩٩٠ م .
٣٠- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، أشرف على تصحيحه الشيخ محمد على الضباع – طبعة مصورة – دار الكتب العلمية – بيروت .

المصادر والمراجع

٣١- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبناء – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠١م .

٣٢- الأصول فى النحو لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٥م .

٣٣- إملاء ما منَّ به الرحمن لأبى البقاء العكبرى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٧٩م .

٣٤- أنماط التحول فى التركيب الوصفى بين النحو والدلالة- د. مفرح سعفان، بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٢م .
٣٥- الإيضاح فى شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق موسى بناى العليلى – بغداد ١٩٨٢م .
٣٦- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٣٧- التبصرة والتذكرة للصيمرى، تحقيق : د . فتحى أحمد مصطفى على الدين، دار الفكر بدمشق – نشر مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى – الطبعة الأولى ١٩٨٢م .
٣٨- التحول التركيبى بين الجملة العربية والإضافة – د. مفرح السيد سعفان – بحث منشور بمجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية .
٣٩- التعريف والتنكير فى النحو العربى، للدكتور أحمد عفيفى– القاهرة– ١٩٩٩ م .
٤٠- تفسير الكشاف للزمخشرى – بيروت – لبنان – ١٩٩٦ م .
٤١- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى، عُنى بتصحيحه أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩٦م .
٤٢- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بلا تاريخ.
٤٣- الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السادسة ١٩٩٦م .
٤٤- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق د. حسين نصار – القاهرة ١٩٥٧ م .
٤٥- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بلا تاريخ .
٤٦- شرح الرضى لكافية ابن الحاجب – تحقيق د . حسن محمد إبراهيم الحفظى – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمى – الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .

٤٧- شرح شذور الذهب لابن هشام، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة – بلا تاريخ .
٤٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق د. رمزى منير بعلبكى – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٤٩- شرح عيون الإعراب لأبى الحسن المجاشعى، تحقيق د. عبد الفتاح سليم – القاهرة .
٥٠- شرح المفصل لابن يعيش – مكتبة المتنبى – القاهرة بلا تاريخ .
٥١- فتح القدير للشوكانى – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
٥٢- الكتاب لسيبويه – بولاق – القاهرة .
٥٣- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون .
٥٤- المحتسب لابن جنى، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٩٩م .
٥٥- معانى القرآن للفراء – تحقيق محمد على النجار وآخرين – دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .
٥٦- معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى، تحقيق أحمد فريد المزيدى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م .
٥٧- المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق د . كاظم بحر المرجان – دار الرشيد للنشر – بغداد ١٩٨٢م .
٥٨- المقتضب للمبرد، تحقيق : الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة ١٩٦٣م (طبعة مطورة) عالم الكتب ببيروت .
٥٩- النحو الوافى للأستاذ عباس حسن – دار المعارف – القاهرة –١٩٩٠ م .
٦٠- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، أشرف على تصحيحه الشيخ محمد على الضباع – طبعة مصورة – دار الكتب العلمية – بيروت .